إبراهيم باشا

نابليون الشرق

مؤسسة دار الفرسان
للنشر والتوزيع
١٥ش ابراهيم خليل المطرية
ت : ٢٢٥١١١١٠ – موبايل : ٠١٢٢٩٨٧١٢٣٧

اسم الكتاب : ‘براهيم باشا (نسور الشرق)
المؤلـــــــــف :
الناشـــــــــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- ٠١٠٤٤٧٠٦٤٥
رقم الإيداع : ٨٥٦٣
طبعة أولى : ٢٠١٨

فهرسة أثناء النشر

إبراهيم باشا /- القاهرة .- ط١: مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦
١٦٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك : ٤-٨١-٦١٦٩-٩٧٧-٩٧٨
١- الرجال – تراجم
أ- العنوان ٩٢٠.٧٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا)

صدق الله العظيم
طه ١١٤

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إبراهيم باشا (١٧٨٩ - ١٠ نوفمبر ١٨٤٨) قائد عسكري مصري، هو الابن الأكبر لمحمد علي، والي مصر. نصب كقائم على العرش نيابة عن أبيه محمد على باشا من يوليو حتى ١٠ نوفمبر ١٨٤٨. قاد حملة عسكرية على وسط الجزيرة العربية وقضى على الدولة السعودية الأولى.

المولد والنشأة :

ولد إبراهيم باشا عام ١٧٨٩م ولد ابراهيم في قولة - اقليم روملي على حدود مقدونية وتراقية في اليونان ، كان عضد ابيه محمد على باشا القوي وساعده الأشد في جميع مشروعاته، كان باسلا مقداما في الحرب، لا يتهيب الموت، وقائدا محنكا لا تفوته صغيرة ولا كبيرة من فنون الحرب.

تعلم إبراهيم في مصر، وعاش في وسط عربي بحت، وقرأ تاريخ العرب وثقافتهم، مع ما تلقنه من مبادئ العلوم والفنون، وخالط الرجال في مجالسهم وعاش صريحاً جاداً مترفعاً عن الدنايا محباً للنظام.

صفاته الشخصية

قيل عنه: ذا هيبة ويقظة دائمة، حاد المزاج ، سريع الغضب، طيب القلب، عادلا في أحكامه، ويعرف الفارسية والعربية والتركية، وله إطلاع واسع في تاريخ البلاد الشرقية.

كان إبراهيم باشا عربي اللغة والعاطفة، وإن لم يكن عربي المولد، وكان ينوه بفضل العرب على المدنيّة والتاريخ، يقول معاصره البارون دوبوا لوكومت **De Bois Le Comte** إنه كان يجاهر بإحياء القومية العربية ويعد نفسه عربياً، وسئل كيف يطعن في الأتراك وهو منهم فأجاب: «أنا لست تركياً فإني جئت إلى مصر صبياً، ومن ذلك الحين مصرتني شمسها وغيرت من دمي وجعلته دماً عربياً». وكتب إلى أبيه في أثناء حصار عكا حين بلغه أن السلطان حشد الجيوش لدفع الجيش المصري عن أسوارها «ومهما بحثوا فلا يمكنهم أن يعثروا على مثل جنود العرب الذين أقودهم أنا».

مسيرته وانجازاته

لما توطد مركز محمد علي في مصر أرسل في طلب ولديه إبراهيم وطوسون من موطنهما سنة ١٨٠٥م واستدعى فيما بعد زوجته وأولاده الصغار، وهم إسماعيل وشقيقتاه سنة ١٨٠٩. لم يكن إبراهيم قد أتم السابعة عشرة من عمره حينما عينه والده على قلعة القاهرة، ثم أرسله سنة ١٨٠٦ رهينة لقاء الخراج الذي وعد الدولة العلية به وتوكيداً لإخلاصه، فرده الباب العالي بعد سنة نظير خدمات أبيه وإعراباً عن نجاح محمد علي في هزيمة حملة الجنرال فريزر الإنكليزية على مصر عام ١٨٠٧.

حين تولى محمد على حكم مصر استدعى ابنه ابراهيم من اسطنبول وأعطاه ادارة مالية مصر. ثم أرسله إلى الصعيد لإخماد تمرد المماليك والبدو.

حرب إبراهيم باشا مع الوهابيين

عينه والده محمد على باشا قائدا للحملة المصرية ضد الوهابيين (١٨١٦-١٨١٩م). بزعامة الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد، التي كان يخوضها أخوه طوسون من ١٨١١-١٨١٣م ، بغية الوصول إلى نتيجة حاسمة في الحرب مع الوهابيين، امتثالاً لأوامر السلطان العثماني محمود الثاني. في الحجاز أظهر ابراهيم سلوكاً حميداً جذب الأهالي له.

اتخذ إبراهيم من «الحناكية» مركزاً يوجه منه هجومه على الوهابيين، واعتمد إبراهيم في سياسته هناك على ولاء القبائل التي سيجتاز بلادها إلى نجد، لتأمين طريق الحملة، فأحسن معاملتها، ومنع جيشه أن يأخذ شيئاً من دون دفع ثمنه، فخضعت له القبائل إلا أقلها.

حاصر إبراهيم باشا الرسّ جنوبي القصيم واستولى عليها ثم زحف إلى عنيزة فاستسلمت واقتحم بريدة عنوة، ثم حاصر الدرعية في ٦ نيسان سنة ١٨١٨، واستمر حصارها خمسة أشهر وبضعة أيام، وفي ١٩ أيلول ١٨١٨ استسلم عبد الله بن سعود، فأرسله مع أفراد أسرته إلى مصر وانتهت الحرب. فاخمد ثورتهم وقضى على حكمهم، وأسر أميرهم وأرسله لأبيه في القاهرة، فأرسله محمد علي إلى الأستانة، فطافوا به في أسواقها ثلاثة أيام ثم قتلوه، فنال إبراهيم باشا من السلطان مكافأة سنية وسمي واليا على مكة، ونال أبوه محمد علي لقب خان الذي لم يحظ به سواه رجل من رجال الدولة غير حاكم القرم.

عمل إبراهيم على كسب ود القبائل التي حاربته، فأعلن الأمان وأغدق المال على من انضم إليه، ورد النخيل الذي كان قد صادره إلى أصحابه، وكان لحسن لقائه وسعة صدره وكرمه أثر إيجابي بالغ.

وعني بتحصين المواقع الحربية المهمة في البلاد ووضع في الوقت نفسه أساس الإصلاح الزراعي، فأمر بحفر الآبار، وعني بتنظيم التموين في مكة والمدينة، وحرص على توفير الأمن على طريق الحج، وعلى توزيع مرتبات من الغلال على فقراء الحرمين والمجاورين، ونال في أثناء ذلك لقب الباشوية من السلطان العثماني.

عاد إبراهيم مظفراً إلى القاهرة في كانون الأول سنة ١٨١٩، وبعد ذلك بقليل ولاه السلطان على جدة، وفي غضون ذلك ناط محمد علي بابنه الثالث إسماعيل فتح بلاد السودان للكشف عن مناطق الذهب المعروفة، وجلب الجنود لتأليف جيشه الجديد منهم. واضطر إلى إرسال ابنه إبراهيم إلى السودان بإمدادات عسكرية لدعم أخيه، ولكنه سرعان ما عاد إلى القاهرة لمرض أصابه في أوائل عام ١٨٢٢م حيث اشترك في تدريب الجيش الجديد الذي تألف من المصريين العرب، ووكل أمره إلى الكولونيل سيف Séve (سليمان باشا الفرنساوي) الذي ساعد إبراهيم في حروبه اللاحقة في اليونان والشام.

ابراهيم باشا واليا على مصر

انصرف إبراهيم بجهوده في السنوات التالية إلى شؤون مصر الإدارية، وكان قد لمس أهمية الزراعة في حياة مصر منذ أن كان دفتردارا (أي مفتشاً) عاماً للحسابات سنة ١٨٠٧، ثم حاكماً على الصعيد سنة ١٨٠٩حيث طرد فلول المماليك وأخضع البدو وأعاد الأمن والنظام إلى البلاد، وأسهم في تطبيق سياسة أبيه الاقتصادية الرامية إلى زيادة الموارد المالية لمصر وتنفيذ إصلاحاته وتقوية نفوذه، كما أدخل إلى مصر بعض الزراعات النافعة التي رأى أنه يمكن نجاحها في مصر من فاكهة وخضار وأشجار ونبات للزينة، وعمل على إكثار شجر الزيتون والتوت، وزراعة قصب السكر، وعني بتطوير الثروة الحيوانية، وأنشأ صحيفة أسبوعية تشتمل على أخبار الزراعة والتجارة،

هناك تاريخين بالنسبة لتعينه والياً أو حاكما لمصر:

عين واليا من ٢ سبتمبر ١٨٤٨ إلى أن توفى في ١٠ نوفمبر ١٨٤٨ ويعتقد أنه الابن الأكبر لمحمد على .

وفي مطلع عام ١٨٤٧ تألف المجلس الخصوصي برئاسته للنظر في شؤون الحكومة الكبرى، وسن اللوائح والقوانين وإصدار التعليمات لجميع مصالح الحكومة.

وفي ١٨٤٨ أصبح إبراهيم باشا الحاكم الفعلي للبلاد، لأن والده اعتل اعتلالاً شديداً لا برء منه، ولم يعد قادراً على الاضطلاع بأعباء الحكم، وفي أيلول ١٨٤٨م منح السلطان العثماني إبراهيم ولاية مصر رسمياً، لكنه لم

يُكمل العام في منصبه، وتوفي قبل والده في ١٠ تشرين الثاني ١٨٤٨ عن ستين عاماً، وترك من الأولاد بعد وفاته، أحمد، وإسماعيل (خديوي مصر فيما بعد) ومصطفى.

يعتبر أبراهيم باشا (١٧٨٩ - ١٨٤٨ م) ابن محمد على باشا من أحسن قواد الجيوش في القرن التاسع عشر، وقد حارب وانتصر في العربية والسودان واليونان وتركيا وسوريا وفلسطين. قام بتدريب الجيش في مصر طبقاً للنظم الأوربية الحديثة أثناء حكمة عدة سنين في سوريا (١٨٣١ م - ١٨٤١ م) وقاد الجيش المصرى الذى قمع ثوار اليونان الخارجين على تركيا - قاد جيشاً مصريا فتح فلسطين والشام وعبر جبال طوروس١٨٣٢-١٨٣٣. بين سنة ١٨١٦ م - ١٨١٨ م قاد جيش مصر ضد تمرد قبائل الوهابيين في الجزيرة العربية وقد حطمهم كقوة سياسية. فيما بين سنة ١٨٢١ - ١٨٢٢ ذهب إلى السودان ليقمع تمرد.

إبراهيم باشا في بلاد اليونان

حرب المورة

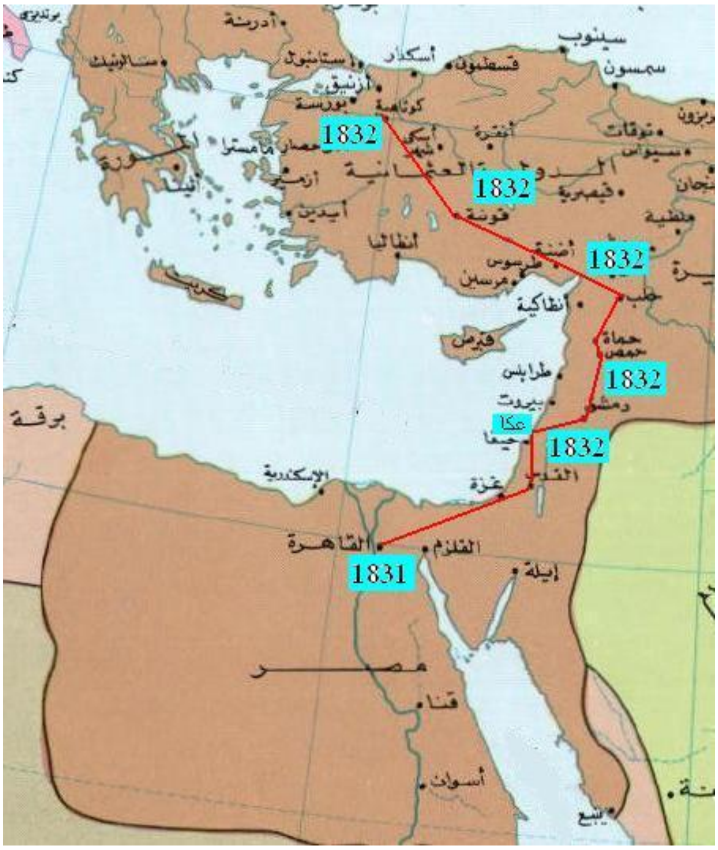
فى يوليو ١٨٢٤ قاد جيشه ضد تمرد اليونانيين ضد الحكم العثمانى ولما لم يكن يقدر على إحتلال الأرض وخسر خسائر فادحة في الحروب فأخلى مناطق كاملة من اليونانيين ورحلهم إلى مصر. في اكتوبر ١٨٢٨ تحركت وحدات عسكرية من بريطانيا والنمساوفرنسا وحاربت قوات إبراهيم باشا وطردتهم خارج الأراضى اليونانية.

عين إبراهيم باشا قائدا للجيش المصري ضد ثورة اليونانيين الذين خرجوا على تركيا للظفر بالاستقلال، فانتزع إبراهيم معاقلهم وأخمد ثورتهم (١٨٢٥-١٨٢٨). فانطلق على رأس جيش قوي مدرب يحمله أسطول مؤلف من ٥١ سفينة حربية و١٤٦ ناقلة جند بحرية، ونزل في شبه جزيرة المورة، فاستولى على نافارين ودخل تريبولتزا **Tripolitsa** وفي أيلول ١٨٢٥ تمكن من إخضاع المورة بأكملها والتفت إلى معاونة العثمانيين في حصار ميسولونجي **Missolonghi** فسقطت في نيسان ١٨٢٦، وبذلك فتح الطريق إلى أثينة التي سقطت في تموز من العام نفسه، وتدخلت الدول الأوربية الثلاث إنكلترة وفرنسا وروسيا وعقدت معاهدة لندن (تموز ١٨٢٧) وفرضت الهدنة وأصبحت أساطيل الحلفاء خارج مياه خليج نافارين التي كان يرابط فيها الأسطولان المصري والعثماني.

وانتهز أمير البحر الإنكليزي كودرنغتون **Codrington** فرصة غياب إبراهيم باشا فدخلت سفنه مع السفن الفرنسية والروسية مياه نافارين، وكان بمقدور أمير البحر المصري أن يحول دون دخولها باستخدام مدفعية أسطوله المسيطرة على مدخل الخليج والبطاريات المنصوبة على البر، ولكنه تمسك بالهدنة المتفق عليها، وأصر مع زميله أمير البحر العثماني على أن لا يكون العدوان من جانبهما، ونشبت معركة نافارين (٢٠ تشرين الأول ١٨٢٧) التي دامت أربع ساعات، ودمرت أساطيل الحلفاء المتفوقة الجزء الأكبر من الأسطولين المصري والعثماني، وقررت الدول المتحالفة الثلاث في تموز ١٨٢٨م إبعاد إبراهيم عن المورة، وتكليف فرنسة إجراء الاتصالات لتنفيذ القرار، ووصل إبراهيم الإسكندرية في تشرين الأول ١٨٢٨ مع ٢٤ ألف جندي حملتهم ٢٦ سفينة حربية و٢١ ناقلة هي كل ما بقي من أسطوله بعد نافارين.

ولكن نزول الجنود الفرنسيين بالمورة أكرهه على الجلاء عن اليونان.

ابراهيم باشا في حربه على سوريا



اشتد الصراع الاستعماري بين الفرنسيين والإنكليز حول البحر الأبيض المتوسط، ورافق ذلك ضعف في أوصال الامبراطورية العثمانية، فكانت أولى المحاولات الأوروبية للسيطرة على المنطقة، قدوم الحملة الفرنسية،

بقيادة نابليون بونابرت لاحتلال مصر بحجة تأديب المماليك لاعتداءاتهم المتكررة على التجار الفرنسيين.

إلاّ أن بريطانيا لم تسكت على عمل فرنسا هذا فقامت، بالاتفاق مع السلطان العثماني، بتطويق الحملة بحرياً، بعد أن قام الأسطول البريطاني بقيادة «نلسون» بتدمير الأسطول الفرنسي في خليج أبي قير. بينما أرسل السلطان العثماني حملة، اتجهت من دمشق نحو مصر، وبعد معارك كثيرة رحل الفرنسيون عن مصر، ليبدأ صراع جديد بين العثمانيين والإنكليز، الذين ساندوا مماليك مصر ضد العثمانيين.

إلا أن انسحاب الإنكليز النهائي ما بين عاميْ ١٨٠٢ ــ ١٨٠٣ ترك مصر في فوضى داخلية. واشتد الصراع بين المماليك والأتراك، ذاك الصراع الذي حسمه تحالف بين وحدة من الجيش التركي وهي وحدة مؤلفة من الألبانيين وبعض المماليك والتي شكلت وفقاً لأوامر الباب العالي، والتي كانت بقيادة محمد علي باشا وجاءت من مكودنيا من (قاله). أما محمد علي باشا فقد ولد في مكدونيا في (كافاله) أو (قاله) عام ١٧٦٩ وعاش يتيماً بظل أسرة غنية هي أسرة (علي آغا) حاكم (قوله) والذي زوج محمد علي من إحدى قريباته وعينه مساعدا له في قيادة هذه الوحدة، التي بلغ عدد أفرادها ثلاثمائة عسكري. إلا أن اضطرار (علي آغا) لمغادرة مصر جعلت (محمد علي باشا) هو قائد هذه الوحدة التي نقلت بأمر من الباب العالي لمصر. وهناك حسمت الموقف بالاتفاق مع بعض المماليك. وأصبحت مصر تحكم من قبل سلطة ثلاثية محمد علي واثنين من المماليك. إلا أن ثورة القاهرة وميل ميزان القوى ضد المماليك جعل محمد علي باشا ينحاز للثوار

ويتعاون معهم على سحق المماليك، وكان له النصر، وقد أصبح ذا شعبية واسعة أقلقت السلطان العثماني الذي استدعاه وما لبث أن أقر بقاءه في مصر والياً نتيجةً الاضطرابات والمواكب الشعبية التي طالبت ببقائه في القاهرة. ومن الأسباب التي ساهمت في قرار السلطان العثماني انشغاله بالحرب الصربية. عند ذلك تم لمحمد علي باشا القضاء على الانكشارية، وهم بقايا السلطة العثمانية في مصر، ومن ثم القضاء على المماليك.

واستقل بالحكم في القاهرة وقوي مركزه عندما صدر الأمر من الاستانة بتعيينه والياً على مصر عام ١٨٠٥ م. ونتيجة للصراع بين الإنكليز والفرنسيين حول المسألة الشرقية، اضطر السلطان العثماني لدخول هذا الصراع إلى جانب فرنسا، مما حدا بالإنكليز لعداء العثمانيين وقامت إنكلترا بمحاولة للهجوم على البوسفور، ولما فشلت في ذلك، قامت بالهجوم على مصر عام ١٨٠٧. إلاّ أن محمد علي تصدى للإنكليز، واستطاع أخيراً الزحف إلى الاسكندرية مركز تجمع الإنكليز وطردهم عام ١٨٠٧.

أخذ محمد علي الذي (أُعتبر بطلاً قومياً) يتجه بمصر ليجعل منها دولة حديثة مفجراً ثورة فعلية اجتماعية وإدارية وثقافية وعسكرية واقتصادية، ما لبث أن قطف ثمارها، فأصبحت مصر دولة تفوق الامبرطوارية العثمانية بتنظيمها وتطورها وتقدمها العلمي.

هنا بدأت مطامع محمد علي تظهر للوجود وهو الذي يرى أنه من سلالة الاسكندر الأكبر المكدوني، والذي ولد في نفس منطقته، ويرى من ناحية ثانية أنه قد ولد في نفس اليوم الذي ولد فيه نابليون بونابرت، لذلك رأى أن له الحق بالسيطرة على امبراطورية واسعة.

إلا أن هذه الأحلام لم تكن لتخفى على السلطان العثماني، كما وأن إنكلترا لم تغفل عنها، وفرنسا، صحيح أنها كانت تساعد محمد علي مساعدة كبيرة وتقدم له العون والخبرة والتكنولوجيا الحديثة، إلا أنها معه طالما هو معها.

وقد خدمت الظروف محمد علي، إذ اضطر السلطان العثماني لطلب مساعدته في القضاء على ثورة (الصرب)، وكذلك في الوقوف بوجه الوهابيين، والحد من سلطتهم، وقد قبض محمد علي ثمن هذه المساعدات غالياً. إذ قام بالتوسع باتجاه السودان ثم باتجاه المشرق العربي.

وجاءت الضربة القاصمة التي وجهها محمد علي للعثمانيين في زحفه على سوريا وهجومه على آسيا الصغرى، مما حدا بالسلطان العثماني، وبمساعدة من بريطانيا، العدو اللدود لمحمد علي وحليفته فرنسا، بالوقوف بوجه محمد علي وارغامه على وقف العمليات العسكرية أولاً ثم العودة إلى مصر ثانياً، وبقاء سلطاته بمصر فقط له ولأولاده يرثون حكمها من بعده.

انتهى تدخل محمد علي بسوريا عسكرياً، إلاّ أن ذيول تدخله تفاعلت وتطورت وكانت امتداداً لتطور حركته في مصر. لذلك يرى كثير من المؤرخين أن أهم أسباب نهضة الأمة العربية الحديثة يعود لحملة نابليون على مصر وقيام دولة محمد علي في مصر أيضاً.

كان محمد علي يعتمد في حكمه وفي إدارته وقيادته العسكرية على أولاده، وعلى التحديد ابنيْه طوسون وإبراهيم باشا، إلا أن الأخير فاق

أخوته جميعاً بما قام به، وخصوصاً قيادته للحملة المصرية على سوريا والأناضول.

ولد إبراهيم باشا عام ١٧٨٩م وهو الابن الأكبر لمحمد علي باشا، وذلك (نصرتلي) قرب (قوله) بالروملي (مقدونيا). وقد استدعاه والده مع شقيقه طوسون إلى مصر عام ١٨٠٥م بعد أن عين محمد علي باشا والياً على مصر من قبل السلطان العثماني، وفي مصر أخذ إبراهيم باشا تعليمه وثقافته، وكذلك بدأ في ممارسة شؤون الحكم، إذ في اليوم الثاني لوصول إبراهيم وطوسون عين الأول حاكماً على قلعة القاهرة (والبعض يقول إن التعيين قد تم لطوسون ومنها يستنتج البعض أن إبراهيم باشا ليس ابناً لمحمد علي بل ابن زوجته من زوج قبله ولكن المرجح عدم صحة هذه الروايات).

وقد اضطر محمد علي لإرسال إبراهيم باشا كرهينة للسلطان التركي، وللتعبير عن حسن نواياه. وذلك في عام ١٨٠٦، وأعيد للقاهرة في ١٨٠٧/٩/٢٦ حيث عيّنه والده دفتر داراً (مفتشا عاما للحسابات). ثم عينه قائداً للحملة التي وجهت لقتال المماليك. ثم عينه في عام ١٨٠٩ حاكماً على الصعيد إضافة لمنصبه (الدفتر دار).

وأخيراً عينه قائداً للحملة المصرية على الحجاز عام ١٨١٦م، التي قام فيها بقتال الوهابيين واستمرت حروبه حتى عاد لمصر عام ١٨١٩، وبقي مسؤولاً عن المنطقة الشرقية في مصر وكذلك اضطلع ببعض المهام في السودان، إلى أن قامت ثورة اليونان، عندها أرسل لحرب اليونان عام ١٨٢٤، وبقي في حربه حتى عام ١٨٢٨، إذ عاد لمصر لعمله السابق

وللاشراف على بناء أسطول بحري قوي بدلاً من الأسطول الذي خسره في اليونان، وتأهباً لغزو سوريا، الذي بيت عليه محمد علي باشا منذ مدة طويلة.

ففي عام ١٨١٠ لجأ يوسف كنج باشا والي الشام إلى مصر، فاراً من وجه سليمان باشا والي صيدا، فاعتبر محمد علي باشا هذا الحادث فرصة للتدخل في الشام، فقام بالسعي لدى السلطان العثماني لإعادة يوسف كنج باشا لحكم الشام، بعد أن شرط على الأخير أن يكون معيناً له في مد سيطرته على سوريا. وقد صرح محمد علي باشا في أكثر من مناسبة أنه يرغب في تولية ابنه طوسون باشا على عكا. وقد كانت مخاوف سليمان باشا والدول الأوربية من امتداد زحف الجيش المصري الذي غزا الجزيرة العربية نحو سوريا، إلا أن خوف محمد علي من مقاومة الأتراك لحملته، وعدم رضى السوريين عن حكمه، وتعارض مصالحه مع مصالح الدول الأوربية، كل هذه الأسباب أجبرت محمد علي على تأجيل حملته حتى عام ١٨٣١، وذلك بعد أن زالت الأسباب التي كانت تمنعه من تنفيذ مشروعه، فقد انشغل الأتراك بثورة البوسنة، واضطرابات ألبانيا، وكانت سوريا خالية من القوات العسكرية، لعدة أسباب أولها انشغال معظم القوات في القضاء على والي بغداد المتمرد (داود باشا) وبسبب ثورة دمشق ضد واليها سليم باشا، وأخيراً بسبب اضطرابات صيدا. بينما انشغلت الدول الأوربية في تسكين الاضطرابات والثورات التي نشأت من تأثير الثورة الفرنسية.

أما من جهة سكان سوريا فقد أمّن محمد علي باشا حاكم جبل لبنان لطرفه مع سكان جبل لبنان، والمسيحيين عامة، لأن المسيحيين في سوريا

عرفوا بمعاملة محمد علي باشا الحسنى للأقباط في مصر ومناداته بالحرية والمساواة.

أما باقي السكان فقد اعتمد محمد علي باشا على تأييدهم له بسبب كرههم للأتراك، ولحكمهم السيئ، وبسبب كرههم للأقطاع والأغوات الذين تسلطوا على الشعب. وقام محمد علي باشا تمهيداً لغزو سوريا بإعلان مشروع قيام الدولة العربية، وأيده في هذه الدعوة ابنه إبراهيم باشا تأييداً مطلقاً.

وفي أواخر تموز سنة ١٨٢٢ فر إلى مصر الأمير بشير شهاب حاكم جبل لبنان الذي ساند عبد الله باشا حاكم صيدا بسبب نزاعه مع درويش باشا والي الشام، فصدر أمر من السلطان العثماني بعزل عبد الله باشا والأمير بشير، إلا أن عبد الله باشا تمرد على هذا الأمر، مما اضطر السلطان محمود لإصدار أمر إلى درويش باشا والي الشام ومصطفى باشا وزير حلب بالزحف على عكا لإخضاع عبد الله باشا.

لقد رأى محمد علي باشا هذه فرصة عظيمة في سبيل تنفيذ مشروعه، فكاشف الأمير بشير بمرامه بعد أن أكرمه وأجاره وقام بالسعي لدى الباب العالي لإصدار عفو عن الأمير بشير وعبد الله، وفعلاً نجح بعد أخذ ورد وعاد عبد الله باشا حاكماً لعكا.

وفي عام ١٨٢٥ وقعت الفتنة بين الأمير بشير حاكم الجبل والشيخ بشير جنبلاط كبير مشايخ الدروز. ووصلت أنباء الفتنة إلى محمد علي باشا، الذي طلب من عبد الله باشا أن يتدخل لانجاد الأمير بشير، فقام عبد

الله باشا بإنجاده، وتم النصر للأمير بشير، فألقى القبض على الشيخ بشير وقاده إلى عكا سجيناً عنده وهناك أحسن وفادته.

إلا أن محمد علي باشا والأمير بشير طلبا من عبد الله باشا التخلص من الشيخ بشير. ونظراً لإلحاحهما عليه بذلك، قام عبد الله بقتل الشيخ بشير، وبذلك قوي نفوذ الأمير بشير شهاب، وبنفس الوقت ازدادت روابط تبعتيه لمصر، بينما زادت أحقاد الدروز على الأمير بشير ومحمد علي باشا.

أطماع محمد على باشا فى سوريا

أدرك عبد الله باشا أطماع محمد علي باشا في سوريا، وأدرك خطورة هذا وتعارضه مع أطماعه الخاصة ومركزه، لذلك كان من المعارضين لسياسة محمد علي باشا رغم ممالئته له، وقد فشل محمد علي باشا في ضمه تحت جناحيه رغم مساعدته له عند الضيق. واستغل السلطان محمود هذه الناحية وقام بمحاولة اسقاط حكومة محمد علي باشا بأن دفع لطيف باشا للتآمر على خلع محمد علي باشا، وحاول أيضاً بذر بذور الفتنة بين محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا بأن أنعم على إبراهيم باشا بولاية جده ولقّبه شيخ الحرم المكي الذي يجعله مقدماً على والده في المقامات الرسمية.

إلا أن الأسباب الرئيسية للخلاف بين عبد الله ومحمد علي باشا يمكن حصرها بما يلي:

١ ــ رفض عبد الله باشا إعادة الفلاحين المصريين الهاربين إلى سوريا من التجنيد بحجة أن سوريا ومصر تابعة للسلطان والسكان في كلا البلدين من رعاياه ولهم حق الاقامة في أي مكان يختارونه.

٢ ــ رفض عبد الله باشا تسديد دينه الذي دفعه محمد علي باشا عنه للسلطان العثماني كشرط لعودة عبد الله باشا لولاية صيدا.

٣ ــ منع عبد الله تصدير بزر دود الحرير من لبنان اضراراً بمحمد علي، الذي كان يعتمد عليه في صناعة الأقمشة الحريرية.

٤ ــ قيام عبد الله باشا بتشجيع التهريب في مصر اضراراً باقتصاد حكومة محمد علي باشا.

تلك الأسباب جعلت محمد علي باشا يقدم على غزو سوريا واضعاً ستاراً شرعياً أمام السلطان العثماني وهو تأديب عبد الله باشا، الذي كثر تمرده على السلطان العثماني، ومحاولاته الاستقلال عن السلطنة. ولم يكن ستار الشرعية هذا ليخدع السلطان العثماني الذي أدرك أهداف محمد علي. بدأت حملة محمد علي على سوريا بتوجيهه ابنه إبراهيم باشا مع ثلاثين ألف رجل وأربعين مدفعاً ميدانياً آخر من مدافع الحصار تساندهم قوة بحرية قوامها ثلاث وعشرون سفينة حربية وسبع عشرة سفينة نقل بقيادة أمير البحر عثمان نور الدين بك.

توجهت الحملة البرية من القاهرة باتجاه غزة في تشرين الأول عام ١٨٣١ حيث احتلت غزة ويافا وحيفا واقتربت من عكا في أواخر تشرين الثاني، وبعد حصار دام ستة أشهر، سقطت عكا في ٢٧ أيار ١٨٣٢، وكان قسم من الجيش المصري قد تابع زحفه باتجاه دمشق التي سقطت دون مقاومة، واتجهت القوات باتجاه حمص حيث وقعت أول معركة مع الأتراك في ٨ تموز ١٨٣٢، كان النصر فيها لصالح إبراهيم باشا، الذي تابع زحفه إلى حماه وحلب، واتجه نحو مضيق بيلان، حيث تجمعت القوات التركية. وفي يوم ٢٩ تموز ١٨٣٢ شهد انكسار الجيش التركي، وهروب قائده حسين باشا مع بقية قواته إلى أضنة، وتابع إبراهيم باشا ملاحقتهم، واستولى على أضنة، مما اضطر السلطان العثماني لتبديل قائده حسين باشا

برشيد محمد باشا، الذي جمع ستين ألف مقاتل في قونية ليواجه ثلاثين ألف من القوات المصرية. ولكن براعة إبراهيم باشا جعلت النصر حليفه.

عندها طلب السلطان مساعدة الدول الأوربية، فكانت فرنسا منحازة لمصر بشكل سافر، بينما وقفت روسيا بجانب السلطان، أما إنكلترا فقد كانت تسعى للصلح بين محمد علي الذي تكن له العداء، وبين السلطان، وذلك لتفويت الفرصة على روسيا، ومنع تدخلها في المنطقة.

ورغم الإنذار الروسي لمحمد علي بالتدخل، ووعد الأخير بوقف العمليات العسكرية، إلا أن الاضطرابات قد وقعت في مناطق التماس، واحتل إبراهيم باشا كوتاهية في ٢/٢/ ١٨٣٣، مما أجبر السلطان على أن يطلب من روسيا المعونة، وقد سارعت بإرسال أسطولها إلى مياه البوسفور، وقامت بإنزال عشرين ألف عسكري على الشاطئ الآسيوي من البوسفور في هنكار اسكلسي قرب قصر السلطان الصيفي، وأرسلت روسيا أيضاً فيلق روسي آخر من جهة الدانوب ليصل إلى استامبول (القسطنطينية) بطريق البر.

لكن التدخل الروسي أجبر كلاً من فرنسا وإنكلترا للسعي لمصالحة محمد علي مع السلطان، حيث تم صلح كوتاهية في ٤ أيار ١٨٣٣، وبموجبه أصدر السلطان فرماناً بتثبيت حكم محمد علي على مصر والجزيرة العربية والسودان وكريت، ويكون هذا وراثياً لمحمد علي، أما بلاد الشام، فتبقى تحت حكم إبراهيم باشا لمدة أربع سنوات شريطة بقاء محمّد علي تابعاً للسلطان، وشريطة جلاء إبراهيم باشا عن الأناضول.

وقد قام إبراهيم باشا بعدة اصلاحات في سوريا أهمها:

١ ــ إعادة تنظيم الدولة إدراياً واعتماد المركزية في الحكم.

٢ ــ زيادة وتنشيط التجارة الداخلية والخارجية والترانزيت.

٣ ــ إجراء إصلاحات في التعليم وتأسيس أول مطبعة في لبنان عام ١٨٣٤ واعتماد اللغة العربية في التعليم.

٤ ــ بث الروح القومية العربية بين صفوف الشعب.

٥ ــ تنشيط الزراعة وتشجيعها وتحديد الضرائب الزراعية بدقة.

٦ ــ زيادة المساحات المزروعة.

٧ ــ تشجيع إنشاء القرى الجديدة.

٨ ــ حصر الجمارك بيد السلطة الحاكمة وتحديدها بدقة.

٩ ــ توطين البدو.

وقد اعتمد إبراهيم باشا في حكمه بسوريا على القوى السياسية التالية:

١ ــ اعتمد على الأمير بشير الشهاب في منطقة لبنان.

٢ ــ اعتمد على شيوخ عبد الهادي في منطقة نابلس.

٣ ــ اعتمد على المسيحيين في أكثر المناطق الأخرى وذلك للأسباب التالية:

آ ــ اعتماده عليهم في الإدارة كما اعتاد في مصر لأن محمد علي كان يعتمد عليهم، إذ كان يرى أن المناصب الكبرى في الدولة يجب أن تكون إما من نصيب الأتراك أو المسيحيين، ولم يكن محمد علي ليسمح بأن ترسل رسالة إلى أي كان إلا عن طريق كاتب تركي أو مسيحي. وكان محمد علي يرى أن من يتحدث التركية في مصر هو بطبيعة الأمر من طبقة راقية اجتماعياً. (وهذا يفسر سر اعتماد اللغة التركية من قبل أبناء الطبقات الارستقراطية في مصر للعصر المتأخر).

ب ــ قيام المسيحيين بالخدمة في حكومته بإخلاص بسبب جو الحرية والتسامح والمساواة الذي أعطاه للطوائف الدينية. إضافةً إلى ذلك قيام إبراهيم باشا بإلغاء الحظر المفروض على الطوائف غير المسلمة والتي أوجدها الأتراك مثل تحريم ركوب الدواب واقتناء الجواري ولبس العمائم وسواها. علماً بأن أول شخص غير مسلم يعطى لقب (بيك) كان لبحري بك الذي أنعم عليه به، نظراً لخدماته في حكومة محمد علي وإبراهيم باشا في سوريا.

جـ ــ قيام المسيحيين بتأييد دخول قوات إبراهيم باشا في سوريا ومساعدته ودعمه.

د ــ اعتماده على قوات عسكرية أجنبية مسيحية في جيشه جعله بطبيعة الأمر يعتاد التعامل مع المسيحيين بسوريا.

هذه الأسباب كانت ممهدة للفتن والحوادث التي أدت فيما بعد إلى حوادث عام ١٨٦٠. خصوصاً أن الأغوات والمتنفذين الذين ساءهم حكم

إبراهيم باشا واصلاحاته ومحاولاته القضاء على نفوذهم، استغلوا هذه الناحية لضرب السلطة والحكم. وقد ساعد أيضاً إبراهيم باشا في تثبيت إقدامه في بلاد الشام دعوته لقيام دولة عربية موحدة، وكانت دعوته هذه صادقة تنبع من قلبه ووجدانه، عكس أبيه الذي يعتبر الحملة على سوريا مغامرة عابرة، وتفسير ذلك أن إبراهيم باشا كان يرد على ناقديه بدعوته هذه التي تأتي من حاكم غير عربي، بأنه ولد غير عربي لكنه عاش في مصر العربية، وقد حولت شمسها دمه إلى دم عربي. كان إبراهيم باشا يقتنع تماماً بضرورة قيام دولة عربية موحدة تحمي الحرمين الشريفين، وقد كان لثقافته الشرقية أثر كبير في ذلك، إذ كان يتقن اللغات التركية والعربية والفارسية، وربي تربية شرقية أصيلة، وكان عالماً بتاريخ الشرق، ولو أنه تعلم الفرنسية فيما بعد، إلا أنه لم تفتنه المظاهر الخلابة للثقافة الأوربية. كما أنه عاش في زمن يغاير زمن أبيه، لذلك لم يكن للأتراك والسلطان عنده أي أهمية أو هيبة أو ربط مع الخلافة الإسلامية، كما كانت عند أبيه.

إن أعمال إبراهيم باشا في بلاد الشام لم ترق للشعب، خصوصاً قيامه بطلب (الفرده) والتجنيد. لذلك واجه العديد من الثورات، كان أولها وأخطرها ثورة الفلاحين في فلسطين، ثم ثورة الدروز، وجبل لبنان، وتتابعت الثورات هنا وهناك مما أربك وضع إبراهيم باشا.

أضف إلى ذلك ظهور مسألة استقلال محمد علي باشا عن الدولة العثمانية، وجاءت فترة انتهاء مدة بقاء إبراهيم باشا في سوريا حسب المعاهدة المذكورة، فأخذ

محمد علي باشا يتباطئ في تنفيذ المعاهدة والانسحاب

كان لمساندة الإنكليز للدولة العثمانية الأثر الأكبر في إنهاء حكم محمد علي باشا في سوريا إذ لم يكن الإنكليز على رضى من بقائه في سوريا، وهم يريدون أبعاده أيضاً، لأنه يحمل التغلغل الفرنسي في المنطقة. وبقاؤه في سوريا يعطي الروس ذريعة للتدخل. لذلك ساندت إنكلترا السلطان ضد محمد علي، مما شجع السلطان العثماني على بدء القتال ضد قوات إبراهيم باشا في سوريا. ففي ١٨٣٩/٤/٢١ عبرت القوات العثمانية نهر الفرات ضمن ممتلكات محمد علي، وقد حدثت معركة كبيرة صباح ١٨٣٩/٦/٢٤ بالقرب من نصيبين كان النصر فيها حليف إبراهيم باشا، وأصبح الطريق إلى استامبول مفتوحة أمامه.

ولكنه لم يفكر في هذه المغامرة، لأنه كان يدرك خطورتها الدولية، وبعد هذه المعركة توفي السلطان محمود الثاني وأخذت الدول الكبرى روسيا وبروسيا وإنكلترا وفرنسا في إجراء المشاورات حول الوضع الخطير، وأخذت هذه الدول تهدد محمد علي، وقد استمرت المشاورات ما يقرب العام، إلى أن أقنعت فرنسا الدول الأخرى بحل القضية سلمياً، واختلفت الآراء حول سوريا ففرنسا ترى إعطاءها لمحمد علي مع مصر، بينما ترى إنكلترا إبقاءه بمصر فقط، واستطاعت فرنسا بمعزل عن الدول الكبرى أن تقنع مصر وتركيا على توقيع معاهدة يمنح السلطان بموجبها لمحمد علي حكماً وراثياً على مصر وسوريا.

إلا أن إنكلترا رفضت المعاهدة، واستغلت حوادث جبل لبنان عام ١٨٤٠، وأبرمت اتفاقية بين الدول الكبرى وتركيا في لندن عام ١٨٤٠، قررت بموجبها حصر محمد علي وممتلكاته، وذلك بأن يبقى لمحمد علي حكم مصر وراثياً له ولأولاده، وإعطاؤه إدارة ولاية عكا مدى حياته فقط، وإعادة باقي ممتلكاته إلى السلطان، على أن يعلن محمد علي قبوله ذلك خلال عشرة أيام، وألا انحصر حقه بمصر وحدها، وإن لم يستجب خلال عشرين يوماً، يقوم السلطان بمساعدة الدول الكبرى بعزله.

رفض محمد علي الإنذار، مما حدا بإنكلترا وبروسيا مع تركيا لبدء عمليات بحرية مشتركة، وقد أنزلت قوات في بيروت في ١٨٤٠/٩/١١ قوامها ١٥٠٠ جندي إنكليزي و٧٠٠٠ ــ ٨٠٠٠ جندي تركي، وأخذ الحلفاء في توزيع السلاح على الأهالي، وحاول محمد علي الاعتماد على معونة فرنسا، ولكنها لم تفعل سوى التهديد بالسلاح، مما زاد إرباك محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا.

وقد وقعت قرب بيروت أولى المعارك بين الدول المتحالفة وقوات إبراهيم باشا في ١٨٤٠/١٠/١٠، وسحبت قوات إبراهيم باشا، وتابع الحلفاء في مد سيطرتهم على الساحل السوري، وفي ١٨٤٠/١١/٣ سقطت عكا، وقطع الطريق الساحلي على قوات إبراهيم باشا وعلى تموينها. كذلك قام الأسطول الإنكليزي بالاقتراب من الإسكندرية مهدداً.

شعر محمد علي بأنه بقي وحده في المعركة وأنه لا يستطيع الاستمرار، مما حدا به للتوقيع على اتفاقية تقضى ببقاءه في مصر فقط، وتسليم باقي ممتلكات السلطان فوراً، وكان ذلك في ١٨٤٠/١١/٢٧. وفي

٢٩/١١/١٨٤٠ أصدر محمد علي مرسوماً بالجلاء الفوري عن بلاد الشام. كانت الحالة في الجبهة السورية بالنسبة لإبراهيم باشا محرجة جداً وصفها بيير كريتيس بكتابه إبراهيم باشا (ترجمة محمد بدران طبعة عام ١٩٣٧ ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠) كما يلي: «المسيحيون الأروذكس يحاربونه لأن حكمه ينذر بالقضاء على حقوقهم التقليدية المكتسبة فيحرمهم من الأرباح الطائلة التي يجنونها من الحروب، والمسلمون يقاومونه لأنه يؤمن بالحرية الدينية والمساواة أمام القانون، والدروز قائمون عليه لأن المارونيين الكاثوليك انضموا تحت لوائه في أول الأمر، وإنكلترا تسلط سيف الفتنة وتمد العصاة بالمال، وتشجع الفوضى بضرب الحصار على شواطئ الشام، وإطلاق القنابل على إحدى نقط البلاد الحرجة، ولو أن إبراهيم لم يكترث بذلك كله وأراق دم جنوده من غير جدوى لكان عمله هو الخرق بعينه».

بعد أن تبلغ إبراهيم باشا مرسوم والده بتسليم سوريا أخذ يجمع جنوده في دمشق ومن ثم توجه جنوباً عبر منطقة الأردن، مبتعداً عن السواحل التي احتلها الإنكليز والأتراك، وقد وصل غزة (٢٤ ألف جندي فقط) من أصل ٦٠ ألف جندي، نتيجة الجوع والعطش والبرد وهجمات السكان.

وقد تمت تسوية القضية في أول حزيران عام ١٨٤١، بأن صدر مرسوم سلطاني ببقاء محمد علي باشا بمصر والسودان فقط دون سائر الأقاليم الأخرى، وتخفيض جيشه إلى (١٨ ألف محارب)، ومنعه من حق بناء السفن الحربية، وتعيين قيادات الجيش، واعترف محمد علي باشا بسلطة السلطان العثماني، وتعهد بدفع الجزية.

وقد أخذ الجنود السوريون بالعودة من مصر إلى سوريا بعد أن أنهى محمد علي تجنيدهم عنده اعتباراً من أواسط أيلول (سبتمبر) عام ١٨٤١، وقد بلغ عدد الجنود المعادون ما يقارب العشرة آلاف.

أصيب إبراهيم باشا في سبتمبر سنة ١٨٤٥ بنزلة معوية حادة اضطرته إلى أن يسافر إلى سان جيتانو بجوار بيزا للعلاج ومنها سافر إلى فرتيه في جبال البرانس.

وعاد إلى الإسكندرية في ٨ آب سنة ١٨٤٦. وفي عام ١٨٤٨ استلم إبراهيم باشا الحكم بدلاً عن والده، وصدر في الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٨٤٨ فرمان رسمي بتولي إبراهيم باشا بدلاً عن أبيه بسبب إصابة والده باختلال عقلي.

وأخذت تسوء حالة إبراهيم باشا الصحية حتى توفي في ١٠ نوفمبر تشرين الثاني عام ١٨٤٨ في الساعة الواحدة صباحاً وهو في التاسع والخمسين من عمره وخلفه عباس باشا ابن طوسون. ومن أغرب ما كتب عن إبراهيم باشا ما قاله أدوار ديسبي في كتابه «قصة الخديوية»:

«لقد كان إبراهيم باشا أقدر الناس على تنفيذ سياسة محمد علي ولكنه قبل موته كانت تنتابه اضطرابات عقلية وقد أصيب بالأرق حتى أصبح لا يستطيع النوم كما أخبر هو عن نفسه لأنه كان يرى في أحلامه أشباح القتلى الذين أزهق أرواحهم».

كما توفي محمد علي باشا في ٢ آب ١٨٤٩ الساعة الثانية عشر والنصف صباحاً عن عمر يناهز التاسع والسبعين وله ٣٩ طفلاً عاش منهم فقط خمسة أولاد وبنتان.

الحريق الكبير وثورة دمشق

أنه في سنة ١٨٣١ يوم عيد السيدة دخل إلى دمشق وزير اسمه محمد سليم باشا ودخوله كان بموكب عظيم والناس هابته وخافته لأن اليوم الذي دخل فيه تخفى (تنكر) ودار في المدينة دورة عظيمة وكان معه جملة عساكر دخلوا معه وقيل أنهم كانوا نحو خمسة آلاف وكان دخوله في تجبر (أبهة) عظيم. وقيل عنه أنه لما كان وزير أعظم أغضب السلطان محمود على وجاق الانكشارية في إسلامبول وكان يومها ستون ألف انكشاري فغرق هذا الوزير عدا الانكشارية الذين قتلهم ستة آلاف حرمة من نسوان الانكشارية فلما دخل لدمشق خافت الخلق منه.

وثاني يوم من حكمه طالع منادي بتنبيه مشاع على الزبالة بأن تعزّل من جميع حارات البلد. فلما سمع الناس التنبيه فمن زيادة خوفهم ففي مدة يوم وليلة عزلوا جميع حارات البلد وما بقي زبالة فيها مطلقاً وصار يدور في البلد كل يوم ولما تسمع الناس بمروره تهرب من وجهه حتى الناس الذين كانوا في القهاوي يهربوا.

أيام السلف:

ومن جملة أعماله أنه دخل إلى القلعة وطلع إلى الأبراج وصار يتمايز حارات البلد ولما نظرها واقعة تحت مدافع القلعة أمر بأن تتذخر. والناس توهموا منه لأنه كان على زمان سالفه عبده الرؤوف باشا والي دمشق حضر فرمان من الدولة العلية بأن يأخذ صليان من دمشق على الدكاكين والمخازن والمغالق في الشهر شي معلوم وأعلن تنبيهاً عاماً عبد الرؤوف

على مشي الصليان فلما سمع التنبيه الأهالي فحالا سكروا دكاكينهم وتجمعوا وحضروا إلى باب الجابية وضربوا المنادي فوصل الخبر إلى السرايا بأن المدينة هاجت وشغبت فأتى من السرايا جملة مواصلة وكراكته وأوضباشي حسب أمر عثمان باشا الذي كان كتخدا الوزير عبد الرؤوف باشا فلما نظر وهم أطلقوا عليهم الرصاص وقتلوا منهم اثني عشر رجلاً والذين أطلقوا الرصاص عليهم أغلبهم من أهالي الميدان فرجع حينئذ بقية التوفكجية للسرايا لأجل أن يحسموا الفتنة لكن كان بوقتها موجوداً في الميدان رجل صاحب سطوة وهو أبو عرابي الشوملي فهذا نزل ركز في قهوة السويقة وصحبته آغاوات الميدان وصاروا يرجعوا الناس ولا يتركوا أحداً ينزل في ذلك اليوم وثاني يوم سار المجتمعون من الميادنة وأهالي أثمان المدينة بأهبة القتال إلى منازل المواصلة والكراكتة ونهبوها وكلما وجدوا أحداً منهم يقتلوه فقتلوا كم واحد من المواصلة والكراكته واستمرت البلد مخبوطة ثلاثة أيام.

أما عبد الرؤوف باشا فاذ علم أن أهل البلد طايشة (هايجة) عليه حيث قتل منهم ناس في هذا الحرب فحالا أرسل المنادي ينادي أن الصليان بطل وأن يكون الجميع بأمن وأمان فقلت المعارضة وهديت الطوشة إذ بطل الصليان واطمأنت الناس وفتحت دكاكينها ومن جرى ضعف الحكم فأهل البلد بقيت مطمهزة والذين لهم نفسانية على المواصلة والكراكته صاروا كلما نظروا موصلي وكوركتلي يقتلوه وكلما سمعوا في أحد منهم أنه في قرية أو في بستان يتوجهوا ويقتلوه. ومن الجملة كان في قرية حرستا واحد أوضباشي كوركتلي توجهوا ليلاً إليه فقتلوه وقتلوا معه اثنين من

جنسه كانوا موجودين عنده وأحضروا رؤوسهم إلى الشاغور وكل يوم يطوش الحال معهم على المواصلة والكراكته حتى عملوهم شغلتهم (دائماً) فلما نظر أعيان البلدان هذه الطوشات يومية ولا هو مأمول أن تنخصم تراموا على الوزير أنه ما دام المواصلة والكراكته في البلد فلا يخلص هذا الشر فأمر الوزير بأن يرحلوا من البلد فتوجهوا جميعاً من دمشق وراقت البلد ولما بلغ الخبر إلى الدولة العلية بأن الصليان ما مشي وأهالي دمشق متزربنة فبعد رجوع الحج إلى دمشق عزلوا عبد الرؤوف باشا ونصبوا وزيراً على دمشق محمد سليم باشا المذكور.

عــود:

وقبل أن سافر سليم باشا من اسلامبول أرسل أمراً وبموجبه أعلن المتسلم في دمشق الجوربجي الداراني محمد آغا فتسلم البلد المومى إليه وحكم بالعدل والانصاف نحو عشرين يوماً وفي أثناء حكومته دخل الجوربجي المذكور أحد السكمان وغافله وسحب عليه اليطقان وأراد أن يقتله ولو ما كان يقظان لكان فرط فيه (فتك به) وإذا كان هذا هاجت المدينة والسكماني حالاً قتل وذاع الكلام ان هذا السكماني مرسله أغاة القلعة السكمان باشي ليقتل المتسلم عن أمر الوزير

وبعد كم يوم حضرت الأخبار بأن محمد سليم باشا وصل إلى دوما فتوجه الجوربجي ملاقياً له فنظر وجهه مغضباً وقبل وصوله للشام شاع الخبر أنه رجل شديد البأس وأن الدولة العلية أرسلته حتى يمشي الصليان ويحضر قناصل الإفرنج إلى دمشق ويعاقب الذين كانوا قد تزربنوا في المدة السابقة وما قبلوا يمشوا الصليان كما مر الشرح.

إذ أنه حضر قبلاً قنصل الإنكليز إلى بيروت ومراده يحضر إلى دمشق بمدة عبد الرؤوف باشا لكن لسبب تزرين أهالي البلد في وقت انطلاب الصليان فبقي في بيروت يستنظر الفرصة فدخل محمد سليم باشا حينئذ إلى دمشق بهذه القوة وأعلن أن مراده يمشي الصُليان وأن يحضر القنصل ويفعل غير أمور وتكلم مع الأعيان أن مراده يحرر إلى القنصل بالحضور للشام ولسبب ذلك بغضته الأهالي بغضة قوية وأول ذلك بغضه الجوربجي الذي كان تسلم البلد في غيابه.

وبعد دخول الوزير المذكور بثلاث أيام هرب الجوربجي بالليل إلى بيت الشوملي بالميدان فلما بلغ ذلك الوزير اغتاظ وأرسل له أمراً أنه لا يقعد في حكمه فالتزم وتوجه إلى عكا.

اجتمـــاع واتفـــاق:

ثم إن الوزير المشار إليه جمع أعيان البلد عنده وخاطبهم أن إرادة الدولة أن تمشي الصليان وأنه لا بد يمشي فجاوبوه أنه بحسب أمره سيصير خير وأن أهالي البلد طايعين الدولة العلية فأعطاهم الأوامر وأذن لهم أن يعملوا ديوان عام في بيت مفتي أفندي على أن هذا الكلام لم يكن يخلو من الغش والخداع بما أن أهالي البلد كانوا سابقاً عملوا سيرانا (نزهة) في الربوة (من ضواحي دمشق) وكان فيه جميع أغاوات البلد وأعيانها وانوجد يومئذ في السيران جم غفير من أهالي البلد

وتحالفوا على الطلاق ووضعوا يدهم على السيف والمصحف بأنهم يكونوا رأياً واحداً وحالاً واحدة وكلمتهم واحدة وصليان لا يمشوا ولو ذهبوا

(هلكوا) على آخرهم وانصرفوا على هذا الرأي ثم اجتمعوا في بيت المفتي (حسب إيعاز الوزير) بالظاهر ليمشوا الصليان وأما في الباطن حتى يبقوا في رأيهم القديم لأنهم كانوا موهومين من الوزير بزيادة فوصل الخبر إلى الوزير أنهم رضيوا أن يمشوا الصليان فانحط منهم الوزير وأمر أن يكتبوا له الحارات.

أول الحركة:

فبدت الكتابة نهار الخميس رابع يوم من شهر أيلول سنة ١٨٣١ فكتبوا الميدان وباب السريجة والقنوات إلى ثاني يوم الجمعة العصر وصلوا للعمارة فأهالي العمارة ضربوا الكاتب والذي معه وتسلحوا وبلغ ذلك إلى أهل العقيبة والصالحية فتسلحوا أيضاً ونزلوا للبلد بموجب الارتباط الذي حصل قبلاً بتلك الليلة.

ولما وصل الخبر إلى الوزير أرسل جملة عساكر إلى العمارة يكبسوها فسكر أهل العمارة البوابة ونزلوا على العساكر بالرصاص فارتد العسكر وتحصن في جامع المعلق وفي خان الدالاتية الذي قباله واشتعلت نار الضرب بينهم إلى ثاني يوم الذي هو السبب فأصبحت أهالي البلد كلها بالسلاح الكامل وحالاً عزلت المدينة قاطبة إلى الخانات فبلغ ذلك الوزير فأرسل عساكر ليكبسوا الميدان فوصل العسكر إلى سوق الغنم.

الثورة:

فبلغ ذلك أهالي الميدان والشاغور فحضر أهالي الميدان من جهة وأهالي الشاغور من جهة ثانية فكسروا العسكر إلى الدرويشية وقطعوا

أربع خمس رؤوس من العسكر وعملوا متاريس في الدرويشية وتحصن فيها أهالي البلد فلما بلغ هذا إلى الوزير أرسل بيلوردي إلى أهالي القنوات فحواه أمان واطمئنان فصار أغاوات القنوات ينبهوا على الناس أن ترفع سلاحها فشاع الخبر أن القنوات سلمت (سلاحها) وشاع عند الجميع أنه ثاني يوم تنتهي الحادثة ويبطل الصليان ولكن الوزير ليلة الأحد أمر العسكر أن ينقبوا (يفتحوا ثغرة) من السرايا إلى القنوات وصباح الأحد أهل القنوات وجدوا العسكر تملك زقاق العداس واشتعل نار الضرب والنهب على القنوات ومن الجملة أخذ العسكر حريم من القنوات وعمل فيهن عملاً يرثى له فحينئذ أهالي القنوات أخبروا أهالي الميدان والشاغور وغير حارات بما حصل فصارت أهالي البلد كلها تحت السلاح وجردوا على القنوات واشتغل الضرب بينهم وبين العسكر وكسروا العسكر بعد الجهد الجهيد وراح يومها جملة قتلى من الفريقين فرجع العسكر إلى السرايا والدوالك فتوجهت أهل البلد إلى الدوالك وتحاربوا مع العسكر ونقبوا حيطان الدوالك وأعطوا النار للحريق فهرب العسكر من الدوالك إلى السرايا فحينئذ الذي في الدوالك نهبوه أهالي البلد ثم خرج أهالي البلد من الدوالك إلى السرايا من قفا المطبخ ونقبوا المطبخ وأعطوا النار وارتدوا إلى باب الهواء واشتد على العسكر الحرب فإذ نظر الوزير والعسكر كثرة الخلق ونار الحريق تلعب بالسرايا من كل مكان كبر عليهم الوهم فلجموا خيلهم وحملوا خراجهم قاصدين الهرب مع الوزير من باب الهواء فحينئذ حضر أولاد البلد إلى باب الهواء فخلعوه ورموه وهجموا على السرايا فلما نظر العسكر والوزير ذلك تركوا الخيل والخراج والمتاع وهربوا بأنفسهم ماشين من باب السرايا على

السروجية فدخل الوزير من الجامع الذي في السروجية إلى الخندق ودخل إلى القلعة هو وخاصته قاصداً أن يشغل ضرب المدافع على البلد لكون حارات البلد تحت القلعة حيث كان قد تمايز ذلك قبلاً.

ضرب دمشق والفوضى

ولما دخل القلعة شغل ضرب المدافع والرصاص في الليل والنهار على جميع حارات البلد لكن لم يستفد شيئاً لأن الكله التي كانت تحكم في بيت كانت تخرق في طبلة (دف) وتقع ولا يصير شيء غير هذا.

وأما بعض العسكر والكيخية وخال الوزير والتفكجي باشي فإنهم توجهوا إلى جامع المعلق وإلى خان الدالاتية وحاصروا بهما وباقي العسكر قسم منهم قتل وقسم تشلح وقسم هرب وقسم كان في القلعة سابقاً فحينئذ تسلمت أولاد البلد السرايا ونهبوا ما يكل عن وصفه القلم حيث بقي النهب في السرايا يومين وليلتين حتى الأطفال صارت تروح تنهب بل نهبوا الحجار والحديد مع كلار الحج والمحمل أيضاً قسموه قطعاً على بعض الشجعان وكانوا لأجل الغنيمة يدخلون بين عجاج النار والدخان.

شدة الحريق:

ولما نظر الذين في القلعة كثرة الحريق ضاعفوه بأمر الوزير لأنهم أرموا كباير النار (القرامي) على سوق الجديد وسوق الأروام(٧) وصار منظراً مخوفاً حيث من كل جانب من السرايا والدواليك ومن سوق الجديد ومن سوق الأروام وجانب من الدرويشية والجامع الذي في باب السرايا كانت النار تلعب فيه ولاشت سوق القميلة(٨) والقهاوي التي بجانب السرايا والبنايات العظيمة لأن جميع بعد يومين صاروا سمهدانة (سهلة مهمدة) إذا وقف الإنسان عند المحمص الذي بأول سوق الجديد يشوف المرجة ولولا أغاوات البلد تجمع المعمارية والفعالة الذين في البلد ويقاطعوا على النار

بالهد والهدم لكان راح أكثر من ذلك وهذا الحادث لم يسبق بمثله وكل الذي صار من سوء تدبير الوزير وبسماح الله.

الفوضى:

أما أهالي البلد المسلمين من أهل العرض فما عاد حسن (قدر) الإنسان أن يخرج من بيته وكذلك النصارى واليهود فلا تسأل عما حصل لهم لأنهم جميعهم داخل البيوت وبوابات الحارات مقفولة ولا يحسن الإنسان يطلع من بيته وإذا طلع تحت اللزوم إلى السوق فالبعض يتشلح والبعض يقطعوا قاطعيتهم أهالي البلد وبقي هذا الضيق على النصارى ثمانية أيام لا يقدروا يطلعوا من بيوتهم كلياً ثم بعد هذا وجوه النصارى اتفق رأيهم أن يوضعوا قلالق (خفراء) بمعرفة الأغاوات فتكلموا معهم فأرسلوا لهم قلالق بالأجرة أجرة النفر كل يوم خمسة غروش ما عدا الأكل والشرب فوضعوا في باب الكنيسة قلق اثني عشر زلمه وفي قهوة السلطاني مثله وعند فرن حنا الأشقر مثله وعند بحرة المسودة مثله وفي باب توما وفي غير حارات أيضاً والغاية في كل حارات النصارى انوضع قلالق وصاروا يهادوا الأغاوات من أرز ودراهم وقماش وغيره وتكلفوا نحو ثلاثين ألف قرش ما عدا أنهم لموا أربع لمات من بيوت النصارى من البيت في كل لمة عشرة قروش ونصف وكل هذه المصاريف والبوابات مقفولة والنصارى داخل بيوتهم.

ومن بعد نهب السرايا توجه أولاد البلد إلى جامع المعلق وعلى خان الدالاتية فخان الدالاتية نقبوه وأعطوه النار فهرب منه العسكر إلى جامع المعلق لأنه قباله فانوجد في الجامع مقدار ألف وخمسماية عسكري وصار

الحرب بينهم نحو ستة أيام وعمل كامل الجهد أهل البلد في حريق الجامع المذكور فما احترق لأنه جميعه مبني بحجر متين ومن الجملة كان في الجامع آغا اسمه قاضي قران فهذا كان ضابط العسكر الذي حضر مع الوزير فجعل إقامته في المأذونة وفتك في القواص بكثير من أهالي البلد لأن ضربه لم يكن يخطي وكل واحد من أهالي البلد بين حاله (أمامه) يكون قوصه حالاً من المأذنة حتى قتل جملة من أولاد البلد وكان موجوداً في الجامع ذخيرة فردة (عدل) بقسماط فقط فصار يعطي إلى العسكري كل يوم كعب واحد إلى أن وصلوا لليوم السادس لم يبق عندهم شيء فالتزموا طلبوا الأمان من أولاد البلد وانهم لا يطلعوا إلا بأمان رشيد آغا ابن أخو أبو عرابي الشوملي وجه الميدان.

الأمـــان:

فنزل رشيد آغا أغاوات البلد إلى الجامع وتسلموا كيخية الوزير وخاله والقبجي الذي كان حضر في مادة الصليان على زمان عبد الرؤوف باشا فوضعوهم في بيت مفتي أفندي تحت اليسق وباقي العسكر وقاضي قران طلعوا في حض (وجاهة) رشيد آغا فوصلهم إلى قاطع المرجة وكنت تنظر أهل البلد يومها كلها في ذلك الصايح من عند جامع المعلق إلى قرب المرجة والعسكري الذي يكون مقصراً عن العسكر يقتلوه وقتلوا بوقتها جملة عساكر ومن الجملة قتلوا التفكجي باشي لأنه ترادى في مدة تلك الأيام التي حكم بها الوزير وبلص جملة ناس من اليهود والنصارى والإسلام في مادة الزبالة ما عدا الضرب والعذارة ولسبب ذلك قتلوه وقتلوا آغاة العقيل لأنه كان متعيناً في البلد سابقاً ولما حضر الوزير تعين عنده

وصار يوم الطوشة يجاهد مع عسكر الوزير هو وجماعته وكذلك آغاة السكمان وهذا كان في القلعة على زمان عبد الرؤوف باشا أغاة القلعة فيوم من الأيام مارق واحد ميداني على باب القلعة فتعالج مع واحد سكماني فقوصه السكماني وقتله ودخل احتمى في القلعة وبوقتها كان مستلم البلد الجوربجي الداراني فطلبه من السكماني باشا ومراده قتله ويخصم الشر فما رضي أن يسلمه وبعد كم يوم دخل الوزير إلى البلد وصار الذي صار فكمشوه في اليوم الذي طلع فيه العسكر من الجامع وأخذوه إلى الميدان مكتوف اليدين وحضر ابن الميداني الذي قتل والده من السكماني المذكور فقوصه وقتله.

وكان موجوداً في اسلامبول واحد اسمه قاسم اغا العقيلي وهو رجل تاجر بغدادي وصاحب ثروة وله جاه في اسلامبول والشام ولما صدر أمر الدولة بأن يؤخذ صليان من الشام فمن طمعه وحبه في (مال) الدنيا ضمن مادة الصليان وأحضر معه البراءة إلى الشام باستنظار الوزير فلما تزربنت البلد على الوزير هرب إلى الصالحية وتخفى وانسمع أنه حلق ذقنه حتى لا يعرفه أحد لكن عرفوه وقطعوه أربع شقف في الصالحية.

هذا الحال صائر ولم يعرف أحد أن الوزير في القلعة إلى اليوم الذي طلع فيه العسكر من الجامع فالكيخية أخبر حينئذ أن الوزير في القلعة لأن البعض كانوا يقولوا أنه هرب خارج البلد وأناس كانوا يقولوا أنه في الجامع وأناس كانوا يقولوا أخذه أجلقين الكردي الذي كان دالي باش عنده والغاية كل يوم يطلع خبر جديد عنه إلى أن أخبر عنه الكيخية أنه في القلعة.

الشكوى:

وبعد يومين اجتمع أهل البلد ومواليها وعملوا عرض محضر إلى الدولة العلية ووضعوا ختوماتهم جميعاً وفحواه:

أفندم سلطانم انه دخل الوزير محمد سليم باشا إلى الشام فخضعنا له الخضوع التام وكتبنا له الصليان برضى جميع الحارات إلا أن حارة اسمها العمارة سكانها فلاحين غشم حواوين ومن حيوانيتهم شونوا (هاجوا) ساعتين زمان فوصل الخبر إلى الوزير فأرسل حالاً العساكر على البلد يقتلوا وينهبوا ويسبوا وأول ما هجم العسكر على حارة يقال لها القنوات نهبوها وسبوا حريمها ودوروا الحريق بها وهذه أول ما كتبت الصليان وأرسل أمراً إلى القلعة يضربوا الطوب على البلد ومراده يخربوا البلد فقامت أهل البلد لأجل أن تحامي عن عرضها ودمها ودخلوا السرايا فحالاً حرق السرايا ودخل القلعة ورمى الكباير بالحريق على كل دائر القلعة على هلقدر أسواق ودكاكين وجوامع وبيوت وغالبها يخصوا الحرمين الشريفين خلاها كلها سمهدانة بالحريق ورمي الكلة لم عمال يفتر من القلعة لا ليل ولا نهار على البلد وما عمال يخلي أحداً يوعى على حاله. أفندم الشكوى إلى الله ولكم لأننا نحن عبيدكم ورعايكم وخاضعين لركابكم وطايعين أوامركم نترجى من مراحمكم بإرسال سايس من بعض سياسكم لأجل أن يحكم فينا حكم المولى على العبيد.

وانشئوا له مع هذا دعاء بأشعار منظومة وتدخيل وأحضروا واحداً من أهل البلد يقال له سليم آغا ابن السقا أميني لأنه من تجار اسلامبول

وهو خبير في الدروب وشارطوه أن يروح ويجي بخمسة وأربعين يوماً وأعطوه أجرة خمسة عشرة كيساً وتوجه بحال سبيله وسيرجع إليه الكلام.

شدة الحصار والقتال:

وأما من خصوص الوزير فإنه لما دخل القلعة اجتمع عنده عسكر نحو ألف ومايتين نفراً ومن البلد أولاد السكمان الذين كانوا بالقلعة ثلثماية نفر وصارت الجملة ألف وخمسماية نفر وثاني يوم طلع الوزير دار على البيوت التي في القلعة وأخذ المؤونة التي عندهم جميعها وكلما أخذ شيئاً من عند واحد يكتبه عنده ويوعده بالوفاء ووضع جميع الذخيرة التي (كانت) في القلعة والتي أخذها من عند السكمان في محل واحد ووكل بها اثنين ووضع المفتاح عنده وصار يعطي الناس بالقانون كل يوم بيومه ويعطي العسكر والسكمان قوت (حتى) لا يموت.

وبعد أن خلص أولاد البلد من مادة جامع المعلق اندارو على القلعة وعملوا متاريس على كل داير القلعة وصار الضرب من أولاد البلد ومن القلعة نهاراً وليلاً أربعين يوماً وأربعين ليلة وأولاد البلد من خلف المتاريس يضربوا بالدور وكل حارة من حارات البلد ووضعوا مدفعين واحداً في الدرويشية وواحداً في سوق الاروام والضرب على القلعة ليل مع نهار ومن القلعة الضرب والطوب على البلد وكان حال يرثى لها لأن جميع الناس تعطلت أشغالها والمدينة والخانات التي فيها مسكرة مع خانات الصنعة ولا أحد يقدر يشتغل لأن الصانع الذي من أهل العرض استكن في بيته والمزربن (صار) وراء المتراس ولا بيع ولا شراء غير أن الأكل موجود فمد القمح يسوى خمس قروش وغير أصناف موجودة وثمنها مهاود

وتعطل جميع الوارد من البلاد ومن البضايع لأن ليس أحد يسأل على شيء وصار الحكم بيد أولاد البلد في وقت الحصار وأغاوات البلد استقاموا في بيت البكري يتعاطوا الأحكام.

ولما مضى من الحصار خمسة عشر يوماً شاع الخبر أن الجوربجي الداراني الذي كان هرب إلى عكا حاضر منها صحبته كيخية عبد الله باشا (وزير عكا) في مادة صلح الوزير مع أهالي الشام فاطمأنت الناس على (أمل) أن المادة تنفك وصار الناس بالانتظار وبعد كم يوم حضر الجوربجي وطلعت أهالي البلد لاقت له وادخلوه بعراضة عظيمة لكن لم يحضر معه لا الكيخية ولا وغيره.

وقبل أن يحضر الجوربجي كانت المادة تناقصت (خفت) وبعد حضوره تجسمت وتقوت المتاريس والناس تواقحوا وصار الجوربجي راس الجميع وظهر أن هذه إرادة عبد الله باشا والي عكا وأنه هو الذي ورط محمد سليم باشا فيما عمله حيث أن الدولة العلية أمرت عبد الله باشا بأن يسعف الوزير المشار إليه بالذي يطلبه منه والوزير بوصوله كتب له (بذلك) فجاوبه عبد الله باشا أنه مستعد لكل ما يلزمه من العساكر والمال حتى إذا لزم هو يحضر أيضاً لكن بالباطن خشي من الوزير المذكور وافتكر أنه إذ ظفر الوزير بدمشق ومشى الصليان فهو يلتزم يمشي ذلك في بلاده وأن الدولة العلية غير ناسية عصاوته السابقة ولو أنها أظهرت له كمال الود وجعلته يتسافه على الذي خلصه من التهلكة السابقة محمد علي باشا والي مصر وقد تجسمت العداوة بينهما بواسطة المعتمد المخصوص التي أرسلته من الاستانة لهذه الغاية وطمعته بالحاق إيالة طرابلس إلى عهدته

وأعطاه هذا المعتمد الأوامر فمع هذا خشي (عبد الله) العواقب ولذلك تكلم مع الشربجي ما ظهر بالفعل كما يأتي وأفهمه أن يستعين على اكمال الغاية بالمال الذي دفعه له (عبد الله باشا) وأن يتخذ أيضاً من اليهود أموالاً لأجل المصاريف وبالأخص من المعلم روفائيل شحادة الصراف لأنه عرف بالثقلة التي حصلت على عدوه هذا وسره الخبر بأنهم وضعوا عنده قلالق مماية وخمسين زلمه من جميع حارات البلد والتخانة التي صارت على اليهود (وعلى) الصراف المذكور شيء يكل عنه الوصف لأنه في كل نهار كان يذبح ثلاث رؤوس غنم ويفلفل ثلاث حلل أرز ما عدا التنبك والانقال والفواكه والعرق والنبيذ شي لا يحصر وكل يوم يحضر إلى عند الصراف المذكور آغا من آغاوات ويتخذ على سبيل المحبة مبلغ دراهم.

وأما بطريرك الروم (متوديوس) فلم يعمل عليه أحد ثقله بل جميع آغاوات البلد توصي فيه وفي النصارى وأما الثقلة التي صارت على النصارى في عمارة المتاريس فكانت على المعمارية والنحاتين لأن كل يوم ينزلوا يكمشوا من النصارى الذي ينظروه في الطريق وغالب الناس يبرطلوا على قدر ما يحسنوا ليتخلصوا خصوصاً في نصف الحصار وشدته حين شرعوا في عمل لغم على القلعة لأنهم حفروا في سفل البرج الذي مواجه الدرويشية وبقيوا كم يوم المعمارية يعاقبوا مع النحاتين حفره وكان أهل البلد ينزلوا يكمشوا منهم بالليل والنهار ويكيسوا البيوت عليهم ولما يهربوا إلى القرى يتوجهوا يمسكوهم ويكتفوهم وتحملوا ثقلة شديدة في حفره لأنهم حفروه وضرب الطوب والرصاص عمال.

فشـــل:

ولما وضعوا فيه البارود نبه الأغاوات على أهالي البلد أن تجتمع عند باب الجابية وحين تقويص اللغم يهجموا على القلعة فاجتمع لذلك أهالي البلد كل حارة بحارتها وتهيئوا لأجل أن يهجموا لكن لما قوصوا اللغم ما طلع بل شرط من البرج وأخذ دكانتين قدامه فحينئذ صار ضرب المدافع من الدرويشية ومن سوق الاروام على الشرط الذي صار من اللغم في البرج حتى هدوا البرج.

وأما الذين في القلعة فلما نظروا الضرب صار على البرج عملوا حفيرة من نصف البرج وبنوا قدامها حايطاً من حجارة قوية وزغاليل ووضعوا على الحفيرة قضبان قش سترة في زعمهم (ظنهم) أنهم إذا حطوا سلالم بالموضع الذي انهدم وصعدوا أولاد البلد للقلعة فيقعوا في الحفيرة فحينئذ ينزلوا عليهم بالرصاص من الزغاليل فلما لاحظ أولاد البلد توقفوا عن الهجوم وشرعوا في حفر لغم آخر من وسط طاحون الزرامزية وصاروا يمسكوا النصارى لأجل حفره ويعذبوا فيهم ولا يخلوهم يطلعوا لا ليلاً ولا نهاراً من اللغم.

مخابرات الصلح

وإذا كان باقياً له يومين أو ثلاثة حتى ينتهي خلصت (نفذت) الذخيرة من القلعة فأمر الوزير أن يطالعوا أولاد البلد السكمان الذين في القلعة ومن بعد يومين صارت المراسلة من القلعة إلى الأغاوات وفحواها أن يعطوا الأمان إلى العسكر والوزير.

فاجتمع أعيان البلد وكتبوا حجة إلى الوزير أن يطلع في أمان أعيان البلد وأعيان البلد طلبوا من الوزير الأمان فرضيوا الجهتين على هذا الرأي وباتوا على أن يطلع الوزير ثاني يوم لكن ثاني يوم بلغ الخبر إلى الضيع وإلى أهالي الحارات فاجتمع خلق كثير ناحية باب القلعة مستعدين بالأسلحة فلما نظرهم أعيان البلد أبقوا طلعة الوزير إلى الليل لأجل صرف الخلق ليلاً يصير شلش وتعهدوا إلى العسكر أن كل حارة تأخذ شوية عسكر لعندها في الأمان وأرسلوا الحجة إلى الوزير في النهار ثم في الليل الساعة بالأربعة حضر أعيان البلد وطوقوا باب القلعة وطالعوا الوزير وصحبته خدمه ماية وسبعة أنفار ووضعوه في بيت محمد باشا (العظم) ووانسوه وقدموا له أكلاً وشرباً وفرشاً لأنه خرج من القلعة هفيان من الجوع وباقي العسكر كل حارة أخذت ثلثماية إلى الميدان والشاغور والعمارة والعقيبة وسوق ساروجا.

وثاني يوم كان الخميس شاع الخبر أن الوزير طلع فانسروا وشكروا الله الذي (لتوفيقه) انفكت المادة على هذه الصورة وصار أمان

وراقت البلد وانفكت المتاريس وفتحت الخلق دكاكينها وقد استقام الوزير في القلعة أربعين يوماً إلى حين طلوعه كما مر.

اجهاز العمل:

وفي اليوم الثالث من طلوعه نقلوه من بيت محمد باشا إلى بيت الكيلاني الذي بالعصرونية وقالوا له هذا البيت أفضى عليه ووضعوا نطراً خمسماية نفر ويومها أخذوا العسكر الذي كان بالحارات سفروه ووصلوا معه أغاوات البلد إلى القصير (قرب دوما) ورجعوا وفي الساعة الواحدة من الليل أحضروا كيخية الباشا وخاله من بيت المفتي إلى عنده وقالوا لهم أن الوزير طالبكم ودخل أولاد البلد الساعة أربعة من الليل قتلوا كيخية الوزير وخاله والقبجي والسلحدار والخزندار والمهردار وكان الوزير حينئذ في القاعة فسمع العكرة بأرض الدار فسكر الباب من جوا (داخل) وكان عنده مملوك وطواشي صاروا يدكوا له وهو يقوص ويجعر ويجانك من الشبابيك حتى قتل ستة أنفار من أولاد البلد وبعد هذا طلع ناس إلى ظهر القاعة حفروه ونقبوه وقوصوه فرموه وأناس علقت النار في باب القاعة لأنه وقت الذي سكر الباب وضع مخدات قش خلف الباب فلما وصلت النار احترق الباب والقش وهو وقع من القواص فلحقته النار احترقت ذقنه وشواربه وتشلوط كل بدنه ولا عاد ينعرف شكله وقتلوا المملوك والطواشي الذي كانوا يدكوا له ولما خلصوا من هؤلاء مسكوا الباقي الماية وسبعة أنفار فشلحوهم بالزلط وأخذوا منهم شيئاً لا يحصى حتى كادت الناس تقتل بعضها البعض لأجل النهب لأنه طلع معهم شيء يدهش العقل لكونهم خاصة الوزير كل ذخاير الوزير كانت معهم لما هرب من السرايا حتى من

الجملة حرقوا أرض القاعة التي كان الوزير فيها ووجدوا فيها مشمعات ذهب عدة وبعد ما شلحوهم وضعوهم في جامع العصرونية فصار أهل الخير من أهالي البلد يأخذوا الزلمة منهم من يعطيه قنبار عتيق أو قميص عتيق يلبسه وياخذه لبيته بكسم أسير وبعد يومين أو ثلاثة يسفره ومن الجملة طلع فيما بينهم ثلاثة أنفار نصارى أحضروهم إلى بيت البطرك لبسوهم ببيت البطرك وسفروهم.

عاقبة الفوضى:

وثاني يوم الذي هو الجمعة سمع الناس بقتل الوزير وجماعته وتشليح الناس بعد ما كان الحال راقت منذ ثلاثة أيام ورجعت يومها الناس طاشت وتخوفوا المسلمين والنصارى والناس الذين هم ذم لطيت في بيوتها وتوهمت (خافت) أكثر من الأول.

التشهير:

ثم أخذوا الوزير والذين قتلوهم معه ووضعوهم في باب القلعة كل زلمه في مطرح بالزلط وصار يومها من الصباح إلى المساء فرجة عليهم وأخذوا رأس الوزير وخاله وداروا بهم بالمرفعجية والطبول والناس تقول عن الوزير أنه نصراني وكل منهم يتكلم شكل على قدر عقله والأولاد في مدة الحصار ويومها وبعده كانوا يدوروا جوقات جوقات في كل البلد ويغنوا: يا رشيد كفك محنى يا رشيد باشتنا حنا. يا رشيد سيفك يرقص يا رشيد باشتنا مرقص وعلى هذا قيس الليل والنهار حتى كرهوهم الناس وكان صوتهم في

الليل يصل إلى القلعة لآذان الوزير (قبل قتله) وأيضاً من وراء المتاريس كان الناس يعزروه عزارة كلية.

وأخيرا جابوا راس الوزير ــ وقبل راس خاله وحطوه على درجة باب الكنيسة نصف ساعة فارتجت النصارى رهبة كلية عامة وما قاموه حتى حضر شيخ حارة النصارى وأعطاهم دراهم فأخذوه ووضعوه على باب الدير الكبير الافرنج وأخذوا دراهم منهم وهكذا لموا دراهم من حارات كثيرة.

واليوم التالي الذي هو السبت صار طوشة بين أولاد الشاغور وأولاد (الحارة التي) تحت القلعة الغرباء وراح من الفريقين نحو اثني عشر زلمة وكان الشر رايح يصير مثل مادة المواصلة والكراكتة وكل ما لهم الناس تخوفوا وكان أهل الشاغور البادين بهذا الشر فلموا المادة أغاوات البلد وثاني يوم الأحد عملوا عزومة وتصالحوا مع بعضهم.

الحكومة الوطنية الشامية:

وأما الوزير والذين معه فدفنوهم في وسط القلعة وتقلد الحكم أولاد البلد ووضعوا أغاتين في القلعة الواحد اسمه علي آغا عرمان والثاني أبو خليل الدقاق ميداني ووضعوا عندهم نحو مايتين نفراً وتعاطى الحكم أغاوات البلد والجوربي وعملوا دار الحكم في بيت المتولي وأرسلوا المنادي ينادي باسم الشرع حسبما رسم أغاوات البلد ونصبوا تفكجي باشي رجلاً اسمه خليل آغا وردة من الميدان وأيضاً أوضباشي من أولاد البلد (ضبطوا) البلد على قدر الكيف وبعد ما كانت البلد كنار جهنم صارت مستكنة.

ثم أنه من نهار الاثنين بعد قتل الوزير بثلاثة أيام فتحت البلد جميع دكاكينها والناس التفتت إلى اشغالها وصار الشروع في عمل البرج الذي قبال الدرويشية لكونه من اللغم ومن ضرب المدفع تهشم فابتدوا بعمارته وبقيوا يعمروا فيه أربعين يوماً حتى رجع أحسن مما كان.

خوف العاقبة:

لكن أهالي البلد دخل عليهم الخوف والوهم من الفعل الذي فعلوه والذي ما سبق له مثل فان وزيرا بثلاثة أطواخ وأمير الحج وقبلاً كان وزير أختام (الصدارة) وخاله وكتخداه وخزنداره ومهرداره يقتلوهم وينهبوا أموالهم ويطردوا عساكرهم وبعضهم يقتلوهم وينهبوا أموالهم ويطردوا عساكرهم وبعضهم يقتلوهم والبعض يشلحوهم وينهبوهم ويحرقوا السرايا وينهبوها وينهبوا كلار الحج المختص بالسلطان والحرمين ويعملوا كل هذه الأعمال وتترك لهم المادة فهذا الأمر المهول غير ممكن أن يصير الصفح عنه ولذلك أغاوات البلد ابتدوا يستعدوا للعواقب فنبهوا على أهل الضيع بأن الذي ما عنده بارودة يشتري والذي ما عنده سلاح يشتري وحينئذ جميع الناس صاروا يشتروا البواريد والسلاح حتى صار عند جميع الناس السلاح وشرعوا في عمل بوابات الحارات وبوابات البلد وعمروا بوابة على كتف جامع المعلق الذي حصروا فيه العسكر وحصنوها بحجارة متينة وزغاليل واستعدوا للمحاربة والقتال قايلين إذا لم يتغاضى السلطان عما مضى وأرسل وزراء وعساكر للمحاربة فعول رأيهم أن يطلعوا إلى قول القصير (بقرب برج العصافير) ويحاربوا الوزراء والعساكر.

ثم إنه يوماً فيوماً كان يقال أن السلطان لما بلغه ما حصل وجه أربعة وزراء (بعساكرها) وهي حاضرة إلى الشام وكذلك صارت تجي أخبار من حلب أنه متجمع ألوف عساكر ومتوجهة إلى الشام وتبات وتصبح الناس على كل خبر أشنع من الأول ولذلك أهالي السبب (التجارة) توقفوا عن الأخذ والعطاء وعن مشترى الحرير لأن جميع الناس تخوفت من هذه الأخبار حتى أن تجار بيروت وغيرهم

أرسلوا أخذوا أرزاقهم من دمشق من عند الامنجية (الموضوعة عندهم بالأمانة) لسبب خوفهم مما صار ومتحسبين أن تهدم البلد وأناس دقرت أرزاقها إلى خارج دمشق وأناس من النصارى خبوا أرزاقهم وسافر نحو ماية عيلة وأكثر إلى صيدنايا ومعلولا وزحلة وراشيا والذي يسافر يتكلف حسبة مثل اكرامية إلى أناس يوصلوه إلى برات البلد (خارجها) ومن الجملة البطريرك توجه إلى صيدنايا وأخذ معه أناس وصلوه وتكلف جملة دراهم وأقام كم يوم وقام إلى الجبل إلى دير البلمند وباقي الناس مقيمين في بيوتهم تحت الرجا والخوف.

الحملة المصرية والاستيلاء على الشام

وإذا كانت الناس في هذا الضيق والاضطراب وردت الأخبار من ناحية مصر أنه حاضر إبراهيم باشا وعباس باشا ويكن إبراهيم باشا ومعهم جانب عساكر برية وعمارة بحرية لأجل محاصرة عكا وأناس يقولوا أنه حاضر للشام وفيما الناس بين التصديق والتكذيب تحققت هذه الأخبار وطلعوا عساكر المصريين على غزة ومن غزة دخلوا يافا من غير محاربة وبدخولهم إلى يافا نبهوا (أن دخولهم) باسم محمد علي باشا والي مصر وحضر متسلمون ومشايخ البلاد لبسوا من عندهم ووضعوا ألف عسكري قلالق في يافا ورحلوا عنها فحطوا على عكا في البر والعمارة البحرية ربطت على حيفا وصار الجميع (مطوقين بالحصار) على عكا ونزل الأمير بشير الشهابي حاكم جبل الشوف إلى عندهم وصحبته ماية زلمة فأرسلوا له الاي أربعة آلاف عسكري لاقوا له مقدار ساعتين ودخل إلى العرضي بعراضة عظيمة واستقبلته عيلة محمد علي باشا ونصبوا له صيوان بجانبهم وصاروا بحال واحدة وتحاصرت عكا قبل صوم الميلاد وصار ضرب المدفع يشتغل على عكا ومن عكا على الأوردي.

اضطراب:

وأهالي دمشق زاد همها لأن أكثر الناس يتكلموا أنهم حاضرين دون أمر سلطان وأنهم متى خلصوا من عكا لا بد من حضورهم للشام والبعض يقولون أنهم بأمر الدولة العلية حيث عبد الله باشا هو الذي جرع أهل دمشق على ما عملوه بمحمد سليم باشا ولأجل ذلك غضبت عليه وأرسلت

أوامرها إلى محمد علي باشا بتوليه على عكا ودمشق لكي ينتقم من الجميع فصاروا الناس في أفكار أولاً متحسبين من العساكر الواردة من جهة الاستانة وثانياً من ناح (ناحية) العساكر الذين على عكا.

علو باشا:

وفيما الناس في هذه الأفكار المكدرة إلى أول يوم من صوم الميلاد في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٨٣١ حضر تاتار من ناحية اسلامبول وصحبته فرمان مضمونة أن منصب الشام توجه على علو باشا باشة ايقونية وأنه حاضر متسلم من قبل الدولة قبل الوزير ليكون قائمقام بدمشق وطلع المنادي ينادي يومها باسم علو باشا فلما سمعت الناس تركنت نصف واحدة ولكن غالب الناس من زيادة الكذب لم عادوا يصدقوا فبعدها تحققت المادة لأن بعد خمسة وعشرين يوماً وصل المتسلم للشام ودخل نهار الخميس في عشرة كانون الأول وطلعت أهل البلد لاقت له إلى سهل القابون وعملوا عراضة عظيمة كل حارة لوحدها وكل آغا لوحده في القواص ولعب السيف والترس والرماح والتراويد ودخل إلى البلد وصحبته اثنى عشر زلمه أتباعه وثاني يوم طلع منادي باسمه واسم الوزير والناس دخل عليهم الاطمئنان لأنه حضر فرمان عفو ناما بسبب الحج وأنه تحرر فرمان ودار في البلاد عفو ناما لكي لا أحد يتوقف عن مجي (سفر) الحج والناس شكرت الله تعالى على ذلك لأنه تدبير رباني فأرباب السبب الذين كانوا ناوين يسافروا عدلوا وتعاطوا أشغالهم والمسافرين

رجعوا إلى أوطانهم والمتسلم الذي حضر قعد في السرايا لا يعدل ولا يميل وتم الحكم في يد أولاد البلد.

غضب السلطان:

ومن خصوص ابن السقا أميني الذي توجه بالعرض للدولة على ما تقدم فبوصوله لاسلامبول صدر الأمر بسجنه في سراية الوزير الأعظم ولما بلغ الخبر أن أهالي دمشق طالعوا الوزير من القلعة بالأمان وبعدها قتلوه وحرقوه نقلوه من سجن الوزير إلى سجن مظلم وجنزروه من رقبته ومن رجليه ويديه ورتبوا له رغيف خبز كل يوم وفنجانين ماء وتخلق (غضب) السلطان على أهالي دمشق وكان مراده يرسل الوزير يخرب الشام وبقي مولانا السلطان محمود متخلق مقدار اثني عشر يوماً وابن السقا أميني في السجن فاناس من رجال الدولة أرباب العقول الذين يميلوا إلى أعيان الشام تراموا على السلطان وروّقوا خاطره فأنعم بفرمان العفو المذكور ووجهوا ضربخانة أميني إلى الشام ينظر في أحوالها وينظم أمورها فالذين يلوذوا بالسقا أميني ترجوا الضربخانة أميني أن يترجى بابن السقا أميني فترجى فيه وأطلقه من السجن ووجهه إلى دمشق الشام ودخل بعد المتسلم بيوم في ١١ كانون الأول وأخبر بهذا.

حضور علو باشا:

وبعده بقي الحال مقدار عشرين يوماً فوردت أخبار قدوم علو باشا للشام ودخل الشام في ٢٨ كانون الأول نهار الاثنين فطلعت أهل البلد لاقوا له كجاري العادة ولكن ما هو مثل يوم أن حضر المتسلم جميع الحارات أعرضته ما طلع لملاقاته غير أعيان البلد ونزل في دار الحريم بالسرايا لأن بالسرايا لم كان باقي غير واجهة منها عمار والباقي كان خربان من

الحريق وقبل ما يحضر الوزير بكم يوم عمروا الذي كان خربان من دار الحريم الذي بالسرايا.

الغــلاء:

ومن خصوص الأسعار قبل أن يحضر الوزير كل من هو له يد فيه الخبز غلوه والحنطة ما عادت انوجدت واللحم الوقية بعشرين فضة والخبز رطله بقرش وأربعة فضة وباقي الأسعار على هذا وقيس فضاجت الناس وصار بدها الوزير يحضر لعل يحصل فرج وترخص الأسعار وبغضوا الأغاوات وحكمهم بسبب الغلا لأن غالبهم أصحاب حوانيت وخزانة فلما حضر الوزير صاروا يقدموا له عروضة في مادة الخبز.

البــلاغ:

وبعد ثلاثة أيام عمل ديوان وجمع أعيان البلد وتكلم معهم أن مولانا السلطان سامحكم بدم سليم باشا وفي ماله وحريق السرايا ومراده أن الفقير يعيش والحاج يمشي ولا يصير ثقلة على الرعية وأصحاب العرض وتكلم معهم على الغلا الحاصل على الخبز والناس التي خازنة القمح ارتخت عروقها ونبه على الذي يعرف أنه في قمح عند أحد وحضر أخبر الحكم يأخذ ماية قرش بخشيش.

الاتبـــاع:

ولبس في الديوان المفتي والكلار أميني والشربجي الداراني ولبس خليل آغا وردة تفكجي باشي الذي كان سابقاً ولبس المتسلم الذي حضر من الدولة كيخية ولبس كيخيته خزندار.

ويوم دخل الوزير للشام دخل معه خمسماية عسكري وبعد يومين دخل كيخيته ومعه مايتين عسكري وبعد خمسة أيام حضر الضربخانة أميني ومعه ماية عسكري فجميع العساكر التي دخلوا للشام ما طبقت (بلغت) على ألف عسكري ايش بدها تعمل مع هلقدار ألوف.

زيادة الغلاء:

وبعد كم يوم من وصول الوزير كان الخبز الرطل بأربعة وأربعين فضة صار سعره بستين فضة ومد القمح بستة غروش صار بثمانية وما له وجود وكل ذلك الكلام الذي تكلمه الوزير ما حصل منه نفع وصار الحكم (فعلا) بيد الشربجي وكلار أميني وتفكجي باشي ابن الوردة ولا عاد الوزير يسأل عن شيء وهم مثلما يريدوا يفعلوا.

فيوم الذي صار الخبز بستين فضة قامت أهل البلد من الصناعية مرادها تقب (تثور) على مادة غلا الخبز فنزل التوفكجي باشي بالدورة قصد يكمش الناس (المتظاهرين) فدوروا المادة أنم قائمين لأجل يزيدوا (أجرة) الصنعة من (أجل) الغلا فأخذت الصناعية زود دورة (حياكة القماش) القني كانت بستة صارت بستة ونصف والفتالة (للغزل) كانوا يأخذوا على رطل الحرير أحد عشر صار في اثنين عشر وصاية الالاجة زادت نصف غرش وحرفه الكريشاتية طلبت زود فدورا الصناعية حتى يقيموا كلهم وبعضهم وصلوا إلى دكان عصاعيصه وجدوا صانع عمال يشتغل قصدوا يبطلوه فما رضي فابن عصاعيصه تخانق مع واحد من الصناعية وجرحه في يده وحضر أبوه ونظر ابنه جرح الصانع فتحسب لئلا الصانع يشتكي فتوجه سبق عليه بالشكاوة على الصناعية ونزل تفكجي باشا يطلب ستة صناعية

فما وقع في أحد منهم غير الصانع الذي جرحه ابن عصاعيصه أخذه إلى قدام التفكجي باشا فالصانع اشكى له أمرة وأنه ابنه جرحه وهو كان مراده يشتكي فمسكوا الاثنين حبسوهم سوية فعصاعيصه بالليل ترجوا فيه وطلع وتكلف ٢٥٠ قرش وثاني يوم انكمش خمسة معلمين كريشة حطوهم بالحبس يومين وطلعوا برجاً وتكلفت مادتهم ٤٥٠٠ قرش فاستدانوها وعملوها على كل وصلة قرش من عند الملقى (من البداية) إلى حين خلاصها ومادة حبسة المعلمين انفحص أمرها طلعت من عصاعيصه لأنهم كانوا بدهم منه هذا الجرم فرمى المعلمين وطلع هو حط ٢٥٠ قرش وبعد كم يوم أعطوهم للصناعية على الوصلة خمسة عشر فضة.

ومن يم الخبز لما عملوا رطله بستين فضة ينتظر (يحسن النظر إليه) فبعد كم يوم نزعوه وصار أسود مثل الكبد ولا موجود وفي آخر كانون الثاني كان (مد) القمح سعره ثمانية (قروش) وفي أول شباط صار بعشرة غروش وأكثر ورطل الطحين بثلاثة غروش ورغيف الخبز الأبيض قدر قرص القطائف بأربعة فضة يوقف رطله بثلاثة غروش ونصف ورطل البقسماط الأسمر بأربعة ونصف رطل الأرز العسكري بأربعة ونصف وعلى هذا قيس وكل هذا الحال من عطل الحكم لأن الحكم بيد أولاد البلد مثل ما يريدوا يعملوا.

موت الضربخانة أميني:

ومن خصوص الضربخانة أميني الذي مرسول من طرف الدولة لأجل ينظم أحوال الشام فقعد كم يوم بالشام ومات ولم نعلم كيف كان موته (هل) هو مات كالعادة أو لحسوه... ولكن الذي تباين أنهم سقوه سماً لأنه كان

عند المسا طيباً (صحيحاً) وثاني يوم أصبح الصبح ميت فقالوا أنه صاحب لاوص شد عليه في الليل قتله.

اشتداد الغلاء:

وفي أول الصوم الكبير اشتد الحال وانباع مد القمح بين البيوت بأربعة عشر غرشاً ومد الشعير بثمانية غروش والذرة بعشر غروش ورطل الأرز بخمسة غروش والفران السوقي يرسلوا لها طحين شيء قليل ويصير على الفران شي مهول لأن الإنسان يوقف نصف النهار حتى يصير له (دور) خبز إلى نهار الجمعة أول جمعة من الصوم اشتد الحال زيادة والناس عافت أرواحها وانخطف نحو خمسين طبق

خبز من الدروب ومن الفران حتى إنهم يخطفوا الخبز عجين من الطريق ومن الفران يخطفوا العجين من المعاجن حتى بذلك النهار صار شي عمره ما جرى.

وثاني يوم حضر قمح من حماه وربنا فرجها لأنه بالسابق لما قرض من البلد نحو مايتين ألف لأجل جلب غلة من حماه اسعاف للشام وثاني يوم أرسلوا طحين للفران حتى انفرجت الشام نصف فرج وإنما بقي زحمة على الفران وإنما مادة الخطف بطلت وصار كل يوم يحضر نقلة قمح من حماه وكذلك طحين لكن الشيء (بقي) على أسعاره.

صحة أخبار الحملة المصرية

ومن خصوص العسكر الذي على عكه الذي محضرينه أولاد محمد علي تحقق أنه خارج عن طاعة السلطان والسلطان متغلظ عليه كثيراً لأنه ليس قصده أخذ عكه فقط وان متى أخذ عكه يحضر للشام ومن الشام إلى حلب وإلى غير مواضع لأن قوته ما هي لأجل عكه فقط لأن عرضيه ماية ألف والذخاير واصلة كل يوم من البر والبحر وجميع البلاد كلها معه لأنه رفع عنهم الميري والظلم فلما درى السلطان في هذا الحال عين عليه ثلاثة وعشرين وزير وعمالة العساكر تجر أول بأول لأنه حضر خبر إلى الشام أن أول الاوردي وصل إلى حمص وصحبته ثلاث وزر في غره شوال سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣٢م) وعمالين ينتظروا الأمر والوزر حاضرة خلفهم.

تدبير الحال:

ومن خصوص أهل الشام توهموا من حضور الوزير وتحسبوا لئلا يصير لهم دهمة (اغتيال) وفي رمضان شاوروا الوزير في مادة الحاج بأن الحاج متعطل حاله من قلة القرش لأن جميع المقاطعات لم يرضوا يرسلوا لهم قرش وأمور الحاج تعطلت بسبب طوشة سليم باشا والذخيرة قليلة من الغلا الحاصل وقصدوا تعطيل تمشي الحاج لأجل يبقوا متفقين بسبب الوهم فخاطبهم الوزير بأن يلموا من الشام قرض ويكتبوا إلى الدولة وفي الحال كتبوا للدولة أنه بخصوص مهمات الحاج ابن محمد علي باشا قاطع السوابل ونبه على ايالة الشام أنها لا تدفع قرش واحد من الميري ولم أحد دفع شي وحاصل غلا في الشام وذخيرة إلى الحاج ما هو موجود.

وشارطوا التاتار يروح ويحضر بالعجل فتوجه التاتار للاستانة وفرضوا قرض على الشام ومن الجملة النصارى دفعوا خمسة وعشرين ألف وصاروا الناس في أفكار بين أن يطلع الحاج وبين أنه ما يطلع إلى نهار ٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ حضر التاتار من اسلامبول وصحبته جواب من الدولة العلية أنه حج لا يطلع ويكون الغازاة على محمد علي باشا أفضل فحالا بطل طلوع الحاج وتنظر الحجاج الترك والأعجام يتباكوا في السرايا ويتراموا وعملوا إلى الوزير ألف كيس (كرامة) فما حصل فصاروا يصرفوا كل الذي اشتروه من الذخيرة وغيره بنصف ثمن واستقاموا كم يوم وتوجهوا إلى بلادهم وبعد ما كانت الناس متركنه والسبب ماشي فدخل الوهم على الناس من ابطال الحج واحدة (أولاً) وثانياً من قدوم الوزر لأن الناس عمالين يدفشوا الأيام تدفيش لكي يحضر قمح (الموسم) الجديد فلما نظروا هذا الحال وأنه قادم عساكر على الديرة (البلاد) صارت الناس تبات وتصبح في وهم (خوف) كلي ثم صار بعده الموسم الجديد وركز سعر القمح بخمسة غروش المد.

فتح عكا:

وبعده ورد خبر للشام في غرة محرم سنة ١٢٤٨ أن عكا أخذها إبراهيم باشا بالسيف نهار الأحد الفصح في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٤٧ وبقي الحصار على عكه ستة أشهر كوامل من ضرب مدافع وقبوسات (Obus) شيء لا يحصى عدده حتى جميع الناس لم يصدقوا في أخذها لأن غالب الناس يقولوا أن عكا لم توخذ ولو بقي الحصار عليها عشر سنوات وفي ختام الستة أشهر ضربوا عليها نار دايمة ثلاثة أيام من يوم الجمعة

على بكري (باكراً) إلى يوم أحد الفصح فسحب إبراهيم باشا سيفه ورمى حاله (هجم) من الصور قدام العساكر وصاروا العساكر يرموا حالهم وراه وكانت ساعة مهولة اشتغل ضرب السيف حتى أفنوا جميع العساكر الذين في عكا وأعطى يغما (أباح) إلى العساكر اثني عشر ساعة من الصبح إلى المسا ما عدا العرض لم أحد قارشه ونهبوا العساكر جميع متاع عكا حتى العساكر غنمت (كثيراً) ونهبوا من الأرزاق شي لا يوصف حتى الذين بقوا في عكا سالمين من رجال ونسوان شلحوهم بالزلوط وأخبروا أن عبد الله باشا لما حاصر وجد (كان) عنده عساكر أربعة عشر ألف نسمة ولما خلص الحصار سلم ألف وخسماية إنسان والباقي قتلوا بمدة الحرب ويوم أن أخذت عكا قتل من عساكر إبراهيم باشا مقدار ثمانية عشر ألف عسكري وبعده عبد الله باشا لم انوجد فخرج إبراهيم باشا لخارج عكا (لقصر البهجة) ومن بعد ساعتين أرسل عبد الله باشا (إليه) طلب الأمان فأرسل له الأمان لأنه كان مقيم (عبد الله باشا) في برج الخزنة مع حريمه وكامل دايرته فحضر لعند إبراهيم باشا فلاقى له وترحب به وبعد ثلاثة أيام أرسله في البحر إلى محمد علي باشا وبعد ثلاثة أيام لحق فيه حريمه بالبحر وراقت تلك البلاد.

فتح دمشق:

وبعد ذلك بعشرة أيام حرر إبراهيم باشا أمراً إلى وكيله أحمد بك قاروط يوسف باشا الذي موجود بالشام وضمنه تحارير إلى أعيان البلد بأن مراده يحضر إلى الشام فهاجت الشام وصار يومها جمعيات الأغوات والوزير وعول رأيهم أنهم يحاربوه وردوا الجواب إلى إبراهيم باشا أن ما عندهم

غير رصاص وبارود وأرسلوا أغاوات البلد أناساً ينبهوا إلى جميع حارات البلد يتسلحوا جميعهم ويتهيئوا للمحاربة فقامت أهل البلد جميعها بالسلاح الكامل وتنظر الناس كل جوقة ألف ويعرضوا (يسيروا بالعراضة) في البلد وكل حارة بحارتها تعرض وتدخل إلى السرايا حتى ينظر الوزير ويطمئن فبقيوا على هذا الحال ثلاثة أيام إلى نهار الأربعا رابع عشر محرم سنة ١٢٤٨ وصل إبراهيم باشا وعساكره الظهر إلى سهل كوكب فطلعت أهالي البلد جميعها للمحاربة ولما نظروا الجموع التي معه وصف الالايات النظام وعرب الهنادي تقطعت قلوبهم فخايلوا (أجروا الخيل) قدام العساكر فقتل من أهالي البلد نحو عشرة أنفس منهم واحد لحام دكانه في باب البريد حلبي اسمه سعود رجل أشبه مشهور بالمرجلة لأن إبراهيم باشا كان أمر عسكره أن يقوصوا بالعالي (بالجو) ولو قسى فيهم كان ذبح منهم مذبحة قوية ولما نظروا هذا الحال رجعوا وينفضوا غبار الموت عنهم وفي تلك الليلة بالليل هرب الوزير والقاضي والمفتي وكلار أميني والنقيب وجميع أغاوات البلد فتوجه أحمد بك وكيله المار ذكره إلى عند إبراهيم باشا وقال له إن البلد سلمت والجميع هربوا فثاني يوم الخميس في ١٥ محرم سنة ١٢٤٨ الموافق ٢ حزيران سنة ١٨٣٢ أمر العساكر تدخل إلى الشام بالترتيب فأولاً دخل الأمير بشير الشهابي ومعه مقدار عشرة آلاف من أهالي الجبل دروز ونصارى وبعد دخلت عساكر إبراهيم باشا القرابة (الخاص) كل الاي بملبوس شكل (خاص) شي يدهش العقل وأول الاي الذي دخل الاي الورديان (الحرس) وإبراهيم باشا فيه وصار ضرب المدافع من القلعة وبعده دخلت الالايات الخيالة وجملة العساكر الذين دخلوا معه للشام عدا

عسكر الدروز ستة عشر ألف عسكري شرك كل ألف ثمانماية وخمسين صاغ حسب ترتيب الانظام وما عادت السرايا وسعت فتوجهت إلى المرجة وباتوا تلك الليلة في المرجة والسرايا.

سوريا بعد الفتح

وثاني يوم الصبح نهار الجمعة في ١٦ محرم سنة ١٢٤٧ قام بكامل العساكر النظام إلى سهلة القابون ونصب صيوانه هناك وعسكر الجبل بقي في المرجة ويوم باسم أحمد بك متسلم الشام بالأمن والأمان وأن أحد ينقل سلاح وأن عملة مصر ماشية ويومها أغا القلعة علي أغا عرمان حضر لعنده وأحضر مفاتيح القلعة وصحبته وأنعم عليه وصرفه إلى بيته.

ونهار الجمعة وقت الصلاة نزل من القابون إلى الجامع الأموي وحده فوقت الخطبة توقفوا واحتاروا باسم من يخطبوا باسم السلطان أم باسم محمد علي باشا فاستأذنوا فجاوبهم أنه عبد السلطان وأن يخطبوا باسم السلطان ويدعوا لمحمد علي باشا.

وبيومها رتب ديوان حكم عشرين زلمه من أعيان البلد ومن أعيان النصارى وواحد من أعيان طايفة اليهود وسماه ديوان المشورة لأجل أن تنظر فيه دعاوى الرعية والميري وبطل الحكم من السرايا وما أبقى غير التفكجي باشي وعنده كم نفر ورتب إلى التفكجي باشي (راتب) منصبه كل يوم خمسة عشر غرش وإلى الاوده باشي خمسة غروش وللنفر خدمته ثلاثة غروش والجميع من كيس الميري ومشى الرعايا جميعهم بالسوية النصراني واليهودي والمسلم حكم واحد. وأهالي البلد حصلوا في غم شديد من ذلك وازداد بغضهم للنصارى والنصارى بانت في وجوههم إمارات الفرح الذين خلصوا من قسر أولاد البلد (الأعيان) فبدوا الإسلام يتوعدوا لهم.

استعراض الجيش:

ولما نصب عرضيه في القابون طلع منادي أن الناس تطلع الأوردي تبيع وتشتري ولا أحد يخشي من باس وصارت أهل البلد تطلع جميعها إلى الأوردي كل يوم وصار بيع وشراء من أكل وشرب وفواكه بأزود ثمن وصار بيع على زناد

(الحرير) الطرابلسي وجميع الزنار الذي كان في البلد انباع جميعه على العسكر وكنت ترى بيع المتاع الذي جابوه من عكا شي يحير العقل والغالب اشتروه اليهود من تحف ومصاغ شي كثير وكل يوم باكر وعشية يصير تعليم للعسكر والناس تطلع تتفرج إلى يوم من الأيام وكان نهار الخميس صار فرجة عظيمة في سهل برزة والقابون.

إذ طلعت العساكر جميعها إلى السهل والمدافع وانقسم العسكر طوابير وكل طابور معه مدفع واصطفوا بالسهل من ذيل (جبل) الصالحية إلى ناح القابون وقوصوا نار دائمة ثلاث ساعات والمدافع أيضاً واصطفت الخيل بغير ناحية وصار لعب ميدان نصف ساعة شي يحير الفكر والوزير والأمير بشير واقفين قدام الخلق وأهل البلد يومها طلعت إلى الفرجة وبعد خلوص النار الدائمة مشيت الالايات كل الاي لوحده بالترتيب ورجعت إلى العرضي كل بلك في بلكه وكل شكل في شكله.

في القابون:

يومها حضر كلار أميني والمفتي والنقيب ورشيد ابن أخو الشوملي إلى عند الأمير بشير بوقت الفرجة وترامو عليه فأخذهم واجه الوزير بهم

وسمح عنهم وبقي مقيم في القابون سبعة عشر يوماً وكل يوم ينزل إلى الشام يتعاطى الأحكام ويطلع ينام في الاوردي وكل يوم عساكره تنزل إلى البلد وتطلع المساء وكنت تنظر الدرب من برج الروس إلى القصاع الناس فوق بعضها يتفرجوا ومن الجملة معه كم واحد افرنج معلمين حرب وحكماً كل يوم ينزلوا إلى البلد يزوروا راكبين في السلاحات المعتبرة في الكسومة الافرنجية فوق روس المسلمين فكلما لهم المسلمين يزدادوا في بغضة النصارى ويتوعدوا لهم وبعد ذلك العنفوان الذي كانوا به صاروا تحت الذم.

مقابلة واختلاف:

وقبل ما يقوم الاوردي بثلاثة أيام نبه على أغاوات البلد جميعها أن تطلع معه للمحاربة مع نفرهم (رجالهم) لأن الوزير وعساكر السلطان باركة (محتلة) في حمص وصار لهم أربعة أشهر يتجمعوا وخبصوا كثير في إقامتهم هناك إذ رعوا كل زرع حمص وفضحوا هلقدر نسوان وبنات أحرار وقطعوا الطرقات وعملوا عمل يرثى له. وأما إبراهيم باشا فجميع عساكره من حين طلوعه من مصر إلى أن وصل للشام ما عمل ثقلة على أحد ولا على المزروعات ولا أخذ ذخاير وكل ذخايره ترد من مصر واستقام في الشام ثمانية عشر يوماً وعساكره كل يوم تطلع وتنزل إلى الشام بين البساتين وكان أيام فواكه ما أحد يسترجي منهم يمد يده إلى شجرة حتى في محل الأوردي شجر المشمش حامل (نازل) فوق رؤوسهم ما كان أحد يسترجي يمد يده يقطع مشمشة ولا أحد يقدر يتطلع (ينظر) في حرمه أو في ولد لأن أولاد كثير بين العساكر في الأوردي ما أحد يقدر يتطلع فيهم وبعد التنبيه على أغاوات البلد اجتمعوا خمسة وسبعين آغا وطلع معهم نفر

نحو ألف ورحل العرضي والوزير ليلة الأحد وثاني يوم الأحد في صفر سنة ١٢٤٧ رحلوا أغاوات البلد.

الأمن العام في الشام:

ويوم الاثنين وضعوا قلالق (خفر ودرك) في البلد وبقي في البلد أميرالاي معه أربعة آلاف نظامي شرك عبارة عن ثلاثة آلاف ومايتين نفر وجعل إقامته في القلعة ووضع في الميدان ثمانية عشر قلق وكل قلق عشرة أنفار ومثل (هذا) في الشاغور وغيرها من الحارات المسمية (الكبيرة المشهورة) القلق نحوماية زلمه وكل يوم يتغير القلق وانضبطت البلد ضبط كلي وكان إذا مر زلمه على القلق ومعه سلاح ولو سكينه يخلصوها منه وإنما يصاروا يطمنوا بالهم أن الوزير متى وصل إلى حمص تكسره العساكر ويرجع مخذول لكن ربنا ما نولهم مرادهم.

موقعة حمص

فحينما وصل الليث الغضنفر إبراهيم باشا إلى حمص نهار السبت في ٩ صفر ورد تحرير من سعادة الأمير بشير إلى المعلم بطرس كرامة (إذ كان في دمشق) يخبره أنه نهار السبت الواقع في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ قد حلت ركاب سعادة الأسد الفاتك الجسور والغضنفر المؤيد المشهور أبو الفتوحات والنصر أفندينا ولي النعم المعظم سيد فرسان العرب والعجم المفخم أيده الله تعالى وحط على بحيرة حمص ونصب عرضيه المنصور على طرف البحيرة وتوجهوا البعض من عرب الهنادي حالاً إلى المدينة فقتلوا من عسكر الاغوات عشرين نفراً كبسوا معزى وطرش من جمالهم وبهائمهم وجانب بقر وغنم فطلع من عساكر المحشورين في حمص جم غفير قاصدين القتال مع العساكر الجهادية فعند ذلك شدت سعادته الهمة العلية وتوكل على المولى جل شأنه وهجم عليهم بالعساكر الظافرة هجمة الأسود بالمهمات القوية وضربهم ضربة هائلة أذاقهم كأس الوبال والنكال وقتل منهم ألف وخمسماية نفر عثملي وجانب مجاريح وانكسروا وقبل حصول الحرب بساعة كان وصل كوركتلي أحمد باشا ومعه أربعة الالايات مشاة وثلاثة الالايات خيالة من نظام اسلامبول ومن سوء حظهم حضروا للقتال فهجمت عليهم عساكر الورديان الجهادية المنصورين فذبحتهم والذين قتل منهم ألفان وخسماية نفر وأزود وربطوا منهم خمسماية نفر يسرى وما بقي انكسروا من أمام الجهادية واشتد ضرب المدفع على القلعة ودار الهد بها ومن السطوة القاهرة تركوا مهماتهم وجبخاناتهم وذخايرهم وخيامهم وما فيها وانهزموا الباشاوات ليلاً وما بقي من عسكرهم ويلقوا (ما يلووا)

على أعناقهم وبهذا النار صباح الأحد المبارك دخل سعادته مدينة حمص واستولى عليها مع (أركان) دولته المنصورة.

هذا ما حرره الأمير بشير إلى بطرس كرامة وبعد حضر أمر من سعادة إبراهيم باشا إلى متسلم الشام أحمد بك بصورة ما حصل بوقت الحرب وهذه صورته حرفياً.

قدوة الأماجد الكرام متسلم الشام حالاً أحمد بك بعد التحية والسلام بمزيد العز والإكرام المنهي إليكم أنه نهار السبت الواقع في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ الساعة بالسبعة من النهار كان ابتدا (وصول) عساكر المنصورة التي ساقته ركابنا ببحيرة حمص وبتلك الساعة نظرنا قدوم عساكر خيل الترك المحتشدين لمعونة الباشاوات الموجودين بحمص وحالاً هجمت عليهم عساكرنا المنصورة خيالة الجهادية والعرب وضربوهم وشتتوا شملهم وأسقوهم كأس الوبال والنكال وولوا هاربين وللنجاة طالبين فاقتفوا آثارهم عساكرنا المظفرة وظهر أمامهم أربعة الالايات نظام قرابة استانلية (من الاستانة) وثلاث الالايات خيالة وعند ذلك تقدمت لحرابتهم عساكرنا المظفورة بترتيب الصفوف على رسم البديع وهجموا عليهم هجوم الأسود الكواسر وأذاقوهم كؤوس المنايا بقطع الحراب وفتك السيوف البواتر ولا تحملوهم سوى ساعة واحدة إلاّ وولوا الأدبار صارخين الفرار الفرار من بعد أن وقع منهم من قتيل ومجروح (ما) ينوف عن ألف وخمسماية نفر منهم من انمسك مسك اليد ما ينوف عن ألفين وخمسماية نفر وارطتين قد كانوا في قلعة حمص للمحاصرة عندما كانوا عزموا على الهرب مع جانب عساكر ارنقوط (ارناؤوط) ومجرد حلول ركابنا في أورضي الباشاوات

القاعدين بمدينة حمص فاستولينا على أموالهم وخيامهم وجباخاناتهم وسائر ذخايرهم وصاروا جميعاً (اغنيمته) لنا والارطتين والعسكر الارناؤوط الذين كانوا في القلعة حينما نظروا هذه المهاول البديعة والظفر البديع استفاقوا وطلبوا الأمان وحنان العفو وكان اللطف غنامهم مرحمة منا أعطيناهم الأمان وخرجوا من القلعة آمنين مطمئنين نحمده تعالى على هذه النعمة العظيمة والمواهب الكبيرة الجسيمة فالآن لأجل نبشركم أصدرنا مرسومنا هذا لكم ويلزم منكم بوصوله تشهروا ذلك إلى كافة الرعايا بعمل الشنك (الأفراح) إلى كافة المقاطعات والبلاد لكي يكونوا مثابرين على سنيات الدعوات الخيرية بدوام دولة وتأييد صولة سعادة أفندينا ولي النغم والدنا المعظم وقهر أعداءه المخجولين ما مر الأيام والسلام.

زينة وأفراح الظفر:

فلما قري هذا الأمر في بيت أحمد بك المتسلم أمر أن يصير شنك في القلعة وطلعت العساكر إلى المرجة وعملوا نار دائمة نصف ساعة وطالع تنبيه في البلد أن تزين ثلاثة أيام وثلاث ليالي فزينت البلد جميعها كما مر وكنت تنظر في هذه الأيام الثلاثة مع لياليها الثريات والشموع شاعلة في الدكاكين والصمد والفرش والدق والغنا والنوبات في جميع الأسواق والناس دايرين في الأسواق في الليل والنهار والنسوان كذلك ومن زيادة الزبط (الضبط) الذي صار من الحكم ما قدر أحد يتطلع في حرمة ولكن كل هذا غصب عن المسلمين لأن في الباطن صعبان عليهم ذلك.

سفاهة الجهال:

ونهار الثالث من الزينة اجتمعوا جهال النصارى ومرادهم يعملوا عراضة فمنعوهم وجوه النصارى فتوجه منهم ناس إلى طرف المتسلم استأذنوه بعمل عراضة فأذن لهم فتجمعوا وزوقوا جمل وركبوا عليه رجل مسلم يسمى حمزة الذكرة من أهالي (حارة) الخراب وحطوا له مسودتين عرق على ضهر الجمل وأحضروا مشعلين ثلاثة زوقوهم بالزوهرات والفواكه وعملوهم على كسم الصلبان ومشيت العراضة من طالع القبة في صفوف على الجانبين بالعصي وبعد الصفوف جمهور بالعصي بالتراويد وأيضاً جمهور آخر وواحد (منهم) واقف على العصي يغني ويوصف (يمدح) لهم إبراهيم باشا يا منصور الله يلعن المقهور وغير وصفات وممشين المشاعل التي هي على كسم الصلبان بينهم وآخر الكل ماشي الجمل المزوق وعلى ظهره المسلم وكلما مشوا كم خطوة يمسك المسودة بيده ويلوح بها ويصرخ

المسيح قام ويشرب (وما زالوا) على هذه الحال إلى أن وصلوا إلى بيت أحمد بك والإسلام تتفرج ولم تحسن تتكلم لكن النيران تشعل في قلوبها والغالب منهم بذلك النهار صار يبكى من قهره لأن الذي صار عمره في الزمان ما صار لأن ثلاثة اشيا أوجبت قهرهم أولاً لعنة المقهور لأن ذواتهم مقهورين باطناً وظاهراً من هذا الحال وثانياً شرب العرق على ظهر الجمل وثالثاً عمل المشاعل على كسم الصلبان وصاروا يتوعدوا إلى النصارى في الردي لأن الذي عملوه الجهال شي باطل (عاطل) وإنما أصلها شرب العرق من الصبح ما عادوا أدركوا ماذا فعلوا وثاني يوم ندموا على ما حصل.

ولما وصلوا إلى بيت أحمد بك أخذوا إكرام ورجعوا وقصدوا يدخلوا السروجية فسكروا (أهلها) في وجوههم قصدوا يمنعوهم عن الدخول فرجع منهم ناس لعند المتسلم احكوا له فحالاً أمر أن تمشي خمسة قواصة ويوزباشي قدامهم وأرسل أحضر شيخ السروجية وحبسه ودخلت العراضة من السروجية بالقهر ومنها على المحايرية والعمارة وعلى مز القصب على الزينبية على باب توما على طالع القبة على هذا الحال.

بعد حمص وحماه وحلب:

وإبراهيم باشا لبس متسلم على حمص من أولاد حمدان من أهالي (حارة) الشاغور وثاني يوم توجه على حماه لبس متسلم ابن أخو الشوملي رشيد آغا وتوجه من حماة بقصد التوجه إلى حلب فصاروا أهل الشام يطمنوا حالهم على أن الوزر الذين انكسروا موجود وراهم حسين باشا في انطاكية وصحبته ماية ألف عسكري فتوجهوا الوزر إلى عنده واجتمعوا سوا ومرادهم ينزلوا على حلب مسلحين.

ويطالعوا معهم أهالي حلب ويحاربوا إبراهيم باشا ويكسروه في خاطرهم متى وصل خبر كسرته للشام يقوموا على (عسكر) النظام يذبحوه وينزلوا على النصارى ينهبوها فالله ما نولهم مرادهم.

فرحل (إبراهيم باشا) من حماه كالسبع الظافر وعمل طريقه على الشول على عرب هدال فذبح منهم مذبحة قوية ونهبهم على آخرهم لأنهم كانوا يقطعوا السبيل ويشلحوا القفول وقبل وصوله إلى حلب كان الوزر وحسين باشا سبقوه إلى حلب ورادوا الدخول إليهم فمنعوهم أهاليها

وتكلموا معهم بأنهم رعايا لمن غلب فاستقاموا خارج حلب وتهيؤوا إلى المحاربة فحضر السبع الكاسر إبراهيم باشا وحط بعيداً عنهم مقدار ثلاثة ساعات فلما بلغهم قدومه هربوا ليلاً وتركوا جميع مهماتهم فلما بلغ قدومه ذلك أهالي حلب فثاني الأيام خرجوا لملاقاته وسلموه حلب فدخل إليها ورتبها ووضع القلالق في كامل البلد وفي القلعة وبالشيخ أبو بكر واستقام يوم في حلب وتوجه إلى انطاكية أخذها ورتبها.

موقعة بيـــلان:

والوزير وعساكر العثملي توجهوا إلى بوغاظ بيلان وحصنوا حالهم وجمعوا عساكرهم لأن البوغاظ حصين بزيادة فتوجه عليهم إبراهيم باشا أبو الفتوحات وحاربهم وكسرهم وملك البوغاظ وأرسل صورة الواقعة التي صارت إلى متسلم الشام ليلة اليوم الثامن من ربيع أول سنة ١٢٤٨ وهذه صورة الأمر:

افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام الحاج أحمد بك

عم السلام التام بمزيد العز والإكرام نبدي إليكم أنه نهار الأحد المبارك الواقع في ٢ ربيع أول سنة ١٢٤٨ قد شرفت حلول ركابنا بالعساكر المنصورة إلى مرحلة خان قراموط لأجل ضرب عساكر المحتشدين في بوغاز بيلان وفي الساعة الستة باليوم المذكور قد تحرك ركابنا من مرحلة الخان المذكور بالعساكر المنصورة

وآلة الحرب المهولة حيث أن البوغاز المرقوم المتحصنين فيه بالقرب من المنزلة التي تحول ركابنا بها وفي الساعة التاسعة من النهار قد كانت المصادفة في عساكر الدشمان وابتدا ضرب الأطواب عليهم وبخصوص تحصينهم بعمل الطوابي وعسر الطرقات وفي هذا جميعه ما أفادهم (هذا) شي سوى أنه مسافة (مدة) ساعتين زمان الذين تبقى منهم من بعد الذي قتلوا وانمسكوا باليد بين مجروح وقتيل قد فروا هاربين وللنجاة طالبين مهزولين إلى ناحية أدنه عند طريق اسكندرونة وتركوا أطوابهم وموجوداتهم فعند ذلك حالاً صدر أمرنا بتوجيه خيالة العساكر المنصورة الجهادية والعرب لأجل اتباع أثرهم ومسكهم جميعاً بحيث أنه لا ينقذ منهم أحد وبحوله تعالى لا بد من حصول المراد وتدمير الجميع فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا لكي بوصوله تعلنوا البشاير إلى جميع المقاطعات لكي يكونوا جميعاً على السرور والفرح على هذه النصرة العظيمة والمنة الجسيمة ليكونوا دائماً مداومين بالدعوات الخيرية بدوام بقاء هذه الدولة السعيدة بوجود دولة أفندينا ولي النعم والدنا عزيز مصر المعظم فبناءً على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد.

وبعد ما انكسروا حسين باشا والوزر في البوغاز وهربوا لحقتهم عساكر إبراهيم باشا فوصلوا إلى جسر مصيص فقطعوا الجسر وكسروه من خوفهم فلما وصلوا عساكر مصر ونظروا الجسر مكسور رجعوا عنهم.

الأسطول العثمانى

ومن خصوص الدولة العلية كانوا مرسلين ذخاير في البحر سبعة عشر مركب للعساكر فمع وصولهم لمينة الاسكندرونة كان الوزر مكسورين (ومهزومين) وكان إبراهيم باشا ملك الاسكندرونة فضبط المراكب جميعها ونقلها إلى عنده والذي طلع في المراكب شي لا ينضبط (لا يحصى).

حنـــا البحـــري:

هو حنا ابن مخائيل ابن عبود البحري الحمصي الأصل وقد تبنى إبراهيم الصباغ العكاوي مخائيل الذي قدم إلى عكا مع والده لما ظهر له من نجابته وجعله يتعلم الآداب العربية على يد الشيخ أحمد الشويكي مفتي عكا مع أولاده وأولاد الشيخ ظاهر العمر فنشأ مخائيل كاتباً ماهراً وشاعراً بارعاً وتقرب إلى حكام زمانه في عكا والشام وتخرج على يده أولاده عبود الأكبر وحنا وجرمانوس ولزموا ديوان عبد الله باشا العظم.

وبعد حضر للشام الخواجا حنا بحري فهذا لما خرج إبراهيم باشا من مصر أرسله محمد علي باشا مع إبراهيم باشا مدير (معاون) لأنه ذو فراسة ومتقدم في الخدامة ومحمد علي باشا يعتمد عليه وغالب دايرة محمد علي باشا كانت في يده فقبل خروجهم من مصر وكل (وصى) إبراهيم باشا بالخواجا المذكور ووكل الخواجا المرقوم في إبراهيم باشا وبعده حضروا لعكا وحصل ما حصل وحضر إلى الشام وأبقى الخواجا حنا ينظم أمور البلاد واستقام مدة (هناك) وبعده حضر للشام ونزل في قصر القباقيبي بالصالحية

وطلع يومها لاقى له أحمد بك وأعيان الشام والقواص باشي والقواصة قدامه إلى حين وصل إلى القصر وكنت ترى في هل

وكان عبود جامعاً إلى جمال الخط حسن الانشا بالتركية والعربية حتى ما زال إلى اليوم يُوصف حسن الخط بالعبودي وكانت لعبود يد في إحالة وزارة الشام إلى يوسف كنج باشا الذي أحبه كثيراً حتى عرض عليه الإسلام ففر عبود إلى زحلة فاسترضاه الوزير بواسطة الأمير بشير وارجعه إلى مقامه ولما فر يوسف باشا إلى مصر بعد موقعة قطنة سنة ١٨١٠ لائذاً بمحمد علي باشا لحقه عبود وأخوته.

كم يوم التي استقامها في الصالحية طلعت جميع أهالي البلد سلموا عليه والنصارى كل يوم على عرض الطريق ناس لأجل السلام وناس لأجل الفرجة حتى إسلام البلد عافت أرواحها وصاروا يقولوا في بعضهم بقينا (كنا) نقول باشتنا حنا على زمان سليم باشا (تهكماً) حتى الله كتب على منطقتنا وصار باشتنا حنا (من) صحيح.

وبعد إقامته كم يوم في الصالحية نزل إلى الشام لبيت الجربجي الداراني في القنوات وبدا ينظم أحوال البلد ورتب ديوان الحكم وغيره وبقي الصيت (الاسم) إلى أحمد بك والفعل إلى الخواجا حنا البحري والذي يقوله يصير وهو رأس الجميع والكتبة الذين تحت يده والخدم الذين معه شي (أناس) بشالات كشمير وشي بلفات بيض وشي لابسين نظام وكلهم يدوروا في الأسواق راكبين الخيل المنظومة ولم يقدر أحد من الإسلام يتكلم (ضد هذا) ويقولوا الإسلام إلى بعضهم يا أخي الدولة صارت دولة نصارى خلصت دولة الإسلام على هذا وقيس.

صرامة الحكومة:

وبدا صرامة الحكم وكلما وقع زلمه من الإسلام بذنب يضربوه أجواب (كرباج) حتى يتلف وبعده يحبسوه في القلعة كم يوم حتى يتجمعوا نحو خمسة عشر زلمه يخشبوهم (يقيدوهم بالخشب) ويرسلوهم إلى عكا يشتغلوا في الورشة بالنهار وفي الليل بالحبس المظلم حتى أهالي البلد وقع عليها الرعب وصاروا تتهذب أخلاقهم وأيضاً أصحاب السفاهة الذين كانوا على زمان الحركات (الثورة) صاروا يمسكوهم أول بأول ويرسلوهم على عكا حتى الجميع صاروا مثل الذم.

الحسبة:

ولبسوا محتسب على الأسعار مصطفى آغا ابن شبيب ونبه على الأسعار جميعها ولم أحد عاد باع (بسعر) زايد مصرية الفرد لأنهم حبسوا الأرزاق يومين ثلاثة ظنوا مثل غير حكم (كالسابق) ونظروا أنه ما فيه فايدة فتواجدت الأرزاق حتى البطيخ نبهوا عليه أنه ينباع في الرطل البطيخة الكبيرة سعر الرطل عشرة فضة والصغير بسعر الرطل بثمانية فضة وصار المحتسب يدور كل يوم في البلد ويمشي قدامه نحو عشرة أجوار ناس حاملين العصي وناس حاملين الفلق وناس حاملين جواب وناس حاملين الميزان والأواق كل يوم على هذا الترتيب.

موقعة أيقونـــة:

وبعده في غرة جمادى الثانية ورد خبر من إبراهيم باشا أنه صار تجمع أربع وزر في أيقونية ومعاهم نحو خمسة وعشرين ألف عسكري ونصبوا عرضوهم تحت أيقونية فأرسل لهم أميرالاي ومعه أربعة آلاف فصار الحرب بينهم فكسرهم وأخذ منهم ألف وخمسماية نفر يسرى وقطعوا خمسماية راس وهربوا الوزر إلى أيقونية وحاصروا (فيها) فلحقوهم وحاصروهم فهربوا الوزر من ايقونية وتسلم إبراهيم باشا أيقونية وأرسل أخبار إلى الشام وصار ليلتها شنك بالقلعة.

حاكم الشام:

وبعد أرسل محمد علي باشا والي إلى الشام اسمه شريف بك فدخل للشام في موكب عظيم وطلعت الأعيان لاقوا له وصحبتهم الخواجا حنا بحري ودخل معه على الشام ماشياً معه وما دامهم في الالاي في الميدان حاصلة (كانت) المكالمة فيما بينهم بالضحك وكل حصة حتى يلتفت شريف بك ويرمي سلام على المسلمين وكان يرى جملة نصارى راكبين يومها في دخول واحد خلف الوزير (شريف بك) والخواجا حنا بحري بجانب الوزير حتى المسلمين كادوا يفقعوا فنزل (شريف بك) بالسرايا وتعاطى الأحكام وأحمد بك الذي كان متسلم صار عنده كيخية (معاون).

بحري بـــك:

والذي يريده حنا البحري هو الذي يصير. وقبل مدة الخواجا حنا انتقل إلى القنوات وسكن في بيت الصالحاني في زقاق التلاج بحارة الخراب

وبعده انتقل وأخذ بيت عبد الرحمن أفندي المرادي (المفتي) الذي في زقاق الملك الضاهر قريب إلى الجامع الأموي لأنه بعد أن كان سكن مفتي الشام صار سكن نصارى لأن الإسلام صعب عليهم ذلك كثير ولكن لم (يكونوا) قادرين على شي لأجل يفعلوه ودائماً القسوس والرهبان طالعة عابرة.

وبعده الخواجا حنا المذكور حرر إيراد ايالة بر الشام من عريش مصر إلى حد أدنه وأرسله إلى ولي نعمته محمد علي باشا فانحظ منه محمد علي باشا وأرسل له نيشان وظيفة ميرالواء (ولم يكن عسكرياً) وصاروا الناس يقولوا بحري بك عوض الخواجا حنا بحري ولما يدخل إلى الديوان ينهضوا له جميع أرباب الديوان من المفتي لحد النقيب وصار اسمه مدير الحسابات ومنقح الجرنال لأن كامل المواد الميرية التي تحصل مذكراتها بالمجلس يرسلوها له وهو يفتحهم ويجاوب عليهم (يجاوبهم عليها) ويرجع مناقضته (انتقاداته) إلى المجلس لأجل يتذاكروا فيها وما يترك لهم مادة (سبيلا) إلا حتى يحكموا فيها بالعدل وينشرح عليها من شريف بك باجرا العمل بموجبها ما دام موجود في الشام كامل المواد تنعرض له لأن في الأول كانت الجرنالات تتوجه من المجلس تركية العبارة إلى محمد علي ويصير تفتيشها

عنده ويناقضهم (ينتقدهم) بالذي لم يوافق رأيه فلما أرسل الشرف أي وظيفة ميرلواء إلى الخواجا حنا وكله بأن ينظر الجرنالات هو ويناقض عليهم بالذي يوافق وصار المومى إليه شريك الرأي.

صلح معاهدة كوت هيه

وبعده حضر أوامر من إبراهيم باشا ومحمد علي باشا أنهم تصالحوا مع السلطان بواسطة دولة الإنكليز ودولة فرنسا وتم الصلح (على) أنه يبقى في يد محمد علي من حد أدنه إلى حد عريش مصر كامل عرب بستان أربعة سنوات تحت مال معلوم وطلع تنبيه مشاع بالشام وأمر أحمد بك أن تزين البلد ثلاثة أيام بلياليها وصارت الزينة في أول أيار سنة ١٨٣٣ مسيحية وصارت (كانت) زينة أحسن من التي قبلها ومن الجملة النصارى في ثالث يوم من الزينة نهار السبت تجمعت جمال وعملوا عراضة بالعصي والكسومة طوابير بالتراويد ومشي طابور بالمباخر والقماقم والشمع على باب توما على الزينبية على مز القصب والعمارة على السروجية على السرايا ودخلوا أخذوا بخشيش وطلعوا على الدرويشية على سوق جقمق على الخياطين وسوق السلاح والبزورية على مأذنة الشحم على طالع القبة وتنظر يومها أهالي البلد قاطبة في الادرب تتفرج حتى يومها أهالي البلد كانت تفقع مرايرها من الذي عملوه النصارى.

مؤامرة قتاليـــة:

ووقع البغض في قلوبهم (ضدهم) ونبهوا المسلمين على بعضهم أنه كل حارة تعرض (تسير بعراضة) بالليل وتنزل على حارة النصارى وكانوا ناووين نية سودا إلى النصارى فنزلت أول حارة أهل مادنة الشحم وصاروا يقولوا في العراضة الله ينصر السلطان الله يهلك الكفار ويوسقو (شتائم) إلى البطرك والمطران والصلبان ويعملوا رايات بشيعة حتى وصلوا إلى باب

الكنيسة (المريمية للروم) كلما نظروا نصراني يضربوه ويشتموه ويخطفوا من دكاكين النصارى أكل حتى وصلوا إلى طالع القبة (من حارات النصارى) صاروا يضربوا في النصارى ويبهدلوا ونهبوا دكانتين ثلاثة من السمانة النصارى وجرحوا ناس ومن الجملة أخذوا جملة دراهم من عباب الناس وضربوا واحد اسمه البطيط ضرب خاطر (مخطر) حكم على خاصرته استقام أربعة أيام ومات فلما عملوا هذا الحال بليلتها توجهوا أناس نصارى اشتكوا إلى أحمد بك فنزل أحمد بك وتفكجي باشي كمشوا ناس منهم وأرسلوهم إلى الحبس وخربطوا عراضاتهم وكلما علقوا بأحد يضربوه ويرسلوه إلى الحبس فبقيوا طول الليل الدورات دايرة وكلما نظروا أحد من الاشقيا يمسكوه إلى ثاني الأيام صار يصير عوان (تغريم) على الذي كان في العراضة وخربط وكمشوا كم واحد وبقيت الناس محبوسة أربعة خمسة أيام بعده طالعوهم وضربوا كل واحد خمسين كرباج والذي انتهب من النصارى ما عاد رجع ولا انعرفوا غراماته وكلما له البغض عند المسلمين تجسم ويتوعدوا للنصارى بالردي.

فتنة الميدان وقصاصها:

وبعد مدة صار طوشة في الميدان أصلها طلع أوده باشي معه عشرة أنفار يحضر جمال لأجل السخرة فنظروا واحد اسمه ابن سكرية هذا كان قبل مدة انمسك وأرسل إلى عكا لأنه من الأشقيا الكبار فهذا هرب من الدرب ورجع للشام بالخفية فيوم الذي طلع الأوده باشي لأجل يحضر الجمال نظره فكمشه فلما انكمش صار بحرض الناس الذين في الميدان

فتجمعوا كم معتر مثل ماية زلمه وضربوا التفكجية والأوده باشي وخلصوه وهربوا التفكجية والاوده باشي ورجعوا إلى السرايا وخبروا.

فلما بلغ ذلك ميرلواء عمر بك لأنه كان ماسك القلعة فركب وأخذ معه ارطه عسكر وطلع على الميدان وكنت ترى يومها الأسواق جميعها سكرت والخانات وتحسبوا الناس لئلا يصير مثل وقت سليم باشا وأن المادة المطبوخة مع بعضهم فطلع عمر بك كأنه السبع الكاسر فبحال أن وصل إلى الميدان لم عاد بان أحد وتخبت الناس في البيوت وحول (نزل) في بيت سعد الدين وعزم أن يهد الميدان فتراموا عليه وروقوا خلقه فكمش ساعتها عشرون زلمه ونزل إلى السرايا ففرزوا منهم ثلاثة أنفار وقطع رؤوسهم ورموهم قدام باب السرايا والباقي حبسوهم في القلعة وبعد كم يوم خشبوهم وأرسلوهم إلى عكا ومن جملتهم ابن حسن أفندي تقي الدين لأنه كان عليه ذنب فترتب جزاه أن يشتغل اثني عشر شهر بالورشة وبعد أن قطع رؤوس الثلاثة أنفار طلع منادي بالأمان وفتحوا الناس دكاكينها وبعده جميع اسلام البلد ماتوا الموتة الصحيحة وخصوصا الميادنة بقيوا نحو خمسة أيام لم يطلعوا من بيوتهم والذين كانوا في أشغالهم مثل فتالة وغيره لم قدروا يطلعوا من دكاكينهم في هذه الخمسة أيام والنصارى تبرنشوا وكانوا يركبوا بالأول في الحشمة (الخفية) فصاروا يركبوا في كل المواضع كان ما على المحسن (منهم) سبيل ولا أحد يقدر أن يتعارضهم.

عودة العساكر:

وبعدها صارت ترد العساكر حتى صار في البلد عساكر كثيرة لأن الحرب كان خلص والعساكر فضيت (فرغت من عملها) صاروا يرسلوها

للشام وتفرقت القلالق في جميع البلد قاطبة وأرسلوا إلى الميدان الاي أربعة آلاف عسكري تفوقوا قلالق وأخذ جملة بيوت منظومة نزلوا أغاوات (الضباط) العسكر فيها وأيضا في القنوات وسوق ساروجا أخذوا جملة بيوت منظومة نزلوا فيها أغاوات وأخذوا جملة جوامع ومدارس نزلوا بهم عساكر مثل الجامع الذي في (سوق) الخياطين والمدرسة التي بلصق بيت عبد الله باشا (العظم) والمدرسة التي قاطع (بعد) حبس باب البريد والجامع الذي بالدرويشية وجامع المعلق وغير جوامع حتى المسلمين كادت تفقع مرايرهم ويقولوا هذا مراد الله جوامع الإسلام صارت منازل العساكر ولكن ما هو طالع من يدهم شي.

انشاء الخمارة:

وبعده صدر أمر من إبراهيم باشا أن يصير خمارة في الشام فأمر الديوان أنه يصير تنبيه عند النصارى واليهود وغير مواضع لأجل يصير مزاد في (ضمان رسم) الخمارة فبقي المزاد حكم خمسة عشر يوماً حتى انتهى حال (التزام) الخمارة بسبعماية كيس وصار ضمانها من عيد الصليب وضمنوها نصارى ويهود وإسلام وأخذوا خان المصبنة الذي في الخراب وقاعة النشا وعملوهم خمارة وتشوف الإسلام بأسوأ حال لأنه شي مثل هذا عمره ما صار (قبلاً) بالشام وتنظر الوارد على الخمارة مسلمين ونصارى ويهود وتنظر العرق والنبيذ مبسطين فيه بالقهاوي والشوارع مثل قهوة علي ابن منين وقهوة باب شرقي وقهوة باب توما ودكان في باب الجابية وفي سوق الخيل وفي باب مصلى وعملوا ميري (رسم) على الذي يرمي في بيته (عنبا) قدر ثمن العنب الميري وأخذوا الزبيب صاروا يبيعوه من

تحت يدهم وجمعوا من بيوت النصارى واليهود خوابي وأخذوا العرق والنبيذ الذي كان في بيوت النصارى لأجل المبيع وأعطوهم ربع ثمن وأخذوا من عندهم جميع الأوائل التي يطبخوا فيها العرق وصار تحرير (تدقيق) كلي على الذي يبيع عرق أو نبيذ والذي يظهر أنه يبيع عرق أو نبيذ من غير أمر الخمارة يصير عليه زيار كلي وقطعوا ثمن رطل العرق باثني عشر غرش ورطل الخمر بستة غروش وصار تحريج (تضيق) على العنب أنه ينزل جميعه في (زقاق) السلطاني بحارة النصارى وأنه حتى يكتفي الكرت (المسكرات) والخمارة يأخذ المتعيش ويصير شحتة (قلة) في السوق على بيع العنب لأجل الأكل في كل الحارات.

رسم الفـــردة:

وبعده حضر أمر من محمد علي باشا أنه يصير فردة في الشام وفي بر الشام على الناس وطلب أعلى اسم خمسماية غرش ونازل لحد الخمسة عشر غرش ولما سمعت المسلمين في هذا الخبر صعب عليهم أكثر من الجميع لأنه في الزمان ما اتتاخذ منهم مصرية الفرد وهذا شي عمومي على الغني والفقير والآغا والأفندي الذين من طول عمرهم معودين على الأكل (لمال الناس) فاحتاروا في أمرهم وصاروا كالأموات من قهرهم وبقيوا كم يوم مضغوطين من هذه المادة ودائماً يحسدوا الأموات ويقولوا لبعضهم يا ما أحلى الموت ودائماً يطلبوا الموت فعلى هذا وقيس.

وبعده دارت الكتبة على جميع حارات البلد وصاروا يكتبوا من اسم (سن) الأربعة عشر سنة وطالع وكل حارة رتبوا لها شيخ ومعرفين يدوروا يكتبوا أولاد الحارة كل واحد بمفرده (أي) اسم الشخص ولقبه وما هو كاره

وفي برهة كم يوم خلصوا الكتابة فأخذوا أوراق الحارات إلى الديوان فزبطوا (ضبطوا عدد) الزلم الذين في الميدان وفي الشام وفي الصالحية بلغوا خمسة وعشرين ألف نفر بما فيه النصارى واليهود وطالب محمد علي باشا من كل نفرماية غرش في قلب بعضهم والديوان يفرض (يوزعها) فلما أهالي الديوان نظروا أوراق عدد الزلم (هكذا قليلة) أبطلوا فريضة (التوزيع على) الحارات وصاروا (يحولوا) حرف فأولاً حولوا حرفة التجار بعده الامنجية (الكوميسيونجية) على هذا وقيس وترتب صراف ومباشر إلى الفردة خلاف الكتاب والذي يدفع الفردة ياخذ ورقة بختم الناظر وعندما ياخذوا المسلمين الأوراق يقولوا لبعضهم يا أخي انظر ورقة خراجي وآخر يقول يا أخي شيلها في راسك اصحى تضيع.

ففي عقلهم (أي) أهل الديوان أنها انقضت (المشكلة) بهذه الكتيبة وهذا التحويل (ولكن) التم من الناس أهالي الحرف والباقي مثل الصناعية ما انفرض

أحد (ما انفرض عليهم) وبعده حضر شريف باشا إلى الشام في أول شهر كانون الأول سنة ١٨٣٣ مسيحية ونزل إلى الديوان ونظر الفردة جامعة في قلب بعضها ثمانية وأربعين قرش (على) النفر فتخلق (غضب) وأمر أن التحويل يصير على الحارات ويبطل تحويل الحرف وبتلك الليلة حوَّل (فرض المال) جميع حارات البلد كل حارة بفئة معلومة بمعرفة أرباب المجلس وجمعت البلد (على) النفر بقلب بعضه ماية وعشرة غروش وكان ابتدا فريضة الفردة سنة ١٢٤٩ هجرية.

دخول القنصل:

وبعده قنصل الإنكليز الذي كان مراد محمد سليم باشا يحضره للشام واستقام في بيروت لحينما حضر إبراهيم باشا وأخذ بلاد العربية حضر للشام نهار الجمعة بعد الصلاة في ٢١ رمضان سنة ١٢٤٩هـ وكان ترتيب دخوله (هكذا) طلع لملاقاته عمر بك مير اللواء واستنظره في قصر عبد الرزاق باشا الذي بالمرجة وصحبته ألف عسكري نظام وكان برفق القنصل حاضر من بيروت أربعة وعشرون خيال في بيارق النظام وقواصته عدة ثمانية وعبدين وتراجمين ثلاثة وكيخية وخزندار وحول في قصر عبد الرؤوف باشا عند عمر بك وتفكجي باشي واستقام مقدار نصف ساعة وقام ركب ومشيوا قدامه ألف عسكري نظام في الموسيقا وبين باشي وبعده ثلاثين قواص من قواصه الوزير بعده الخيالة الذين حضروا معه من بيروت ببيارقهم وبعده التفكجي باشي وجماعته وبعده قواصته لابسين طقومة وردي جزايرلي مقصب وبيدهم عصي فضة مكوبجين (ذات قبضة) على كسم صليب وبعدهم التراجمين في الشالات الكشمير في الخيل المنظومة وبعدهم القنصل راكب على راس خيل من الخيول الجياد عدته مشغولة في الصرما ولابس على راسه برنيطة محجرة بالألماس وفي راسها جملة ريش أبيض وأحمر ويرمي سلام ووراه كيخية وخزنداره وعبيده وتنظر العالم منتشرة من عند قصر المرجة شي لا ينحصى وحكم طريقه على الدوالك على بيت يوسف باشا. على باب السرايا. على سوق الأروام وسوق الجديد. على باب القلعة. على باب البريد. على سوق الحرير. على البزورية. على ماذنة الشحم. على الخراب. على طالع القبة. على حمام المسك. على باب توما. على حمام البكري. على زقاق القميمم (القميلة).

على بيته فكانوا قبل بمدة آخذين له بيت قزيها الذي قدام قناية الحطب ودخلوا العساكر جميعها لعند بيته فحالاً رفعوا له البنديرة فوق باب البيت على راس السطوح وثاني يوم وضع فوق باب البيت نيشان المملكة (الآرما) مصور فيها تاج الملك وحصان وسبع وكان يوجد قدام باب بيته على مدة سبعة ثمانية أيام مثل فرجة الحاج (بكثرة) الناس فوق بعضها بعض هذا ما كان من مادة دخول القنصل.

إبراهيم باشا في القدس

وأما ما كان من إبراهيم باشا المشار إليه فبعد اتمام الصلح مع السلطان بقي مدة دايرا في البلاد التي أخذها يستقيم في كل بلد كم يوم إلى أن وصل إلى القدس أول جمعة الالام ونزل في النبي داود وكان بتلك السنة زاير (زوار) كثير عمره ما حضر مثله حتى أنه حضر من ديرة العربية مقدار خمسة آلاف زاير ومن الاروام والأرمن خمسة عشر ألف وأمر إبراهيم باشا أن تفتح درفة الباب الثانية أي درفة باب القيامة لأن من عهد سيدنا عمر الخطاب لم انفتحت وأمر أن لا يكون غفار (خفر) في الدروب ولا ورقة في باب القيامة وأن الزاير لا يحط (شيئاً) لا كلي ولا جزئي فبهذا السبب اجتمع زوار كثير وصار أمان كلي في الدروب.

والإنسان إذا مشي وحده في الطريق لم أحد يعارضه حتى من الجملة كان ناس أروام زوار حاضرين من القدس إلى الناصرة ولأجل الزيارة مروا على ضيعة يقال لها أباطيا ففيها أولاد رجموا عليهم الحجار فكان إبراهيم باشا يومها موجود في الناصرة فاشتكوا له فحالاً أرسل كمش ثمانية أنفار من أباطيا ووضعوا الخشب في أيديهم وبعتوهم إلى عكا يشتغلوا بالورشة والغاية أن هذه الحرية لم صار مثلها من زمان الفتوح إلى الآن.

نكبة السبت:

وإنما يوم سبت النور دخلت جميع العالم إلى القيامة وصار حشرة (ازدحام) كلية في القيامة إلى الساعة بالثمانية حتى فاز (فاض) النور والخلق من كثرة الازدحام كادت تزهق أرواحها فبعد فيض النور أسرعوا

بالخروج من القيامة فزحموا بعضهم من عند المغتسل إلى باب القيامة وصارت الناس تقع فوق بعضها وكان يرى يومها الناس من عند المغتسل إلى باب القيامة عند الصفة البرانية فوق بعضها مثل التل العالي وكان يومها إبراهيم باشا بالقيامة في دوار الافرنج فلما درى بما صار نزل سريعاً فحملوه العسكر من فوق الزلم إلى براء باب القيامة ولو ما (طول) أجله خرجت روحه من الزحمة وضيق النفس فلما خرج إلى سطح (ساحة) القيامة جلس على الصفة البرانية وأمر العسكر ان يسحبوا الزلم من فوق بعضها ونبه على الناس أنها تجيب ماء فالذي يسحبوه ويكون فيه روح يرشوا عليه الماء يصح ويأخذوه إلى منزوله والذي يسحبوه إلى سطح القيامة يشبطوه وعلى هذا وقيس واستقاموا نحو ثلاثة ساعات حتى عاموا الزلم الواقعة وفضي (فرغ) الدرب وصارت الناس تطلع (من القيامة) أول بأول وانقلب ذلك الفرح بالكدر لأن الذي صار شي مهول لانهم زبطوا الذين ماتوا قدر مايتين زلمه منها روم أربعين والباقي أرمن واثنين من أولاد الشام أحدهم يقال له ابن الدكة والثاني ابن الاسطا

لله الحمد لم راح غيرهم من أولاد الشام ومات من أهل حلب خمسة أنفار ومن بيروت والشويفات خمسة ومن أهالي الجبل (لبنان) ثلاثة أنفار ومن غيرهم من البلاد العربية ثمانية أنفار والباقي أولاد ترك. (يونان) الظاهر أن هذا شي من سماح الله ربنا يعوضهم الجنة وهذا جرى سنة ١٨٣٤ مسيحية فنرجع لما كنا في صدده.

المباشرة بأخذ العسكر:

ولما وصل إبراهيم باشا إلى القدس بعث جمع مشايخ جبل القدس وجبل الخليل فكانت هذه الجمعية خمسة أيام من (بعد) عيد الفصح وقال لهم بدي أليس نظام فماذا تقولوا إن كان تعطوا قولوا وإن كان ما تعطوا قولوا فكان جوابهم أن أولادهم ودمهم بين رجليك والذي بتقوله يصير وتراضى هو واياهم من كل اثني عشر زلمه يعطوه زلمه يلبسه (عسكر) نظام وكتب عليهم حجج ورؤوس مشايخ البلاد (جعل عليهم رأساً) يُقال له قاسم الأحمد والثاني يُقال له الشيخ حسين عبد الهادي والشيخان المذكوران بقيا عنده المشايخ توجهوا إلى البلاد ينبهوا في قضية النظام وإبراهيم باشا توجه يوم الأحد الجديد على يافا والشيخين المذكورين معه ولبَّس ابن قاسم الأحمد متسلماً في القدس.

بـــدء الثـــورة:

ولما حصل التنبيه في البلاد على مادة النظام تعصبوا جميعاً للمقاومة (واتفقوا) أنهم يضاربوا وما يعطوا نظام وقاسم الأحمد هرب من عند إبراهيم باشا وتوجه لعند أهالي البلاد وصار راس العصبة وأرسل جم غفير إلى القدس من الفلاحين وأحضروا له ابنه من القدس لعنده على حماية والعسكر الذي في القدس سكر وحاصر في القلعة والبلد وبعده تجمعوا الفلاحين مقدار عشرين ألفاً وحضروا إلى القدس وحيث هي محاصرة فدخلوا كم واحد من سياق بير وراء باب النبي داود وذبحوا العسكرية المغفرين (الخفر) الباب ليلاً وفتحوا الباب ودخلوا الفلاحين من الباب وصباحاً حصل الضرب بينهم وبين العسكر الموجود بالقدس ودخل العسكر إلى القلعة وصار يضرب على الفلاحين بالطوب والبندق والفلاحين نهبوا

دكاكين البلد وثلاثة بيوت يهود والنصارى ما حصل عليهم شي حيث أنهم رفعوا أرزاقهم وحريمهم للديورة حتى وهم (احتموا فيها) وبقي هذا الحال سبعة أيام.

عــودة إبراهيم باشــا:

فلما بلغ إبراهيم باشا الخبر بيافا وبلغه أيضاً أن أهالي الخليل ذبحوا أيضاً المايتين عسكري الموجودين عندهم انزعج من ذلك ثم جهز العساكر الموجودين صحبته (معه) وقدرهم خمسة آلاف وأربعماية نفر وفرقهم ثلاث فرق فرقة من الدرب الفوقاني وفرقة من الدرب الوسطاني وفرقة من الدرب التحتاني ومشي المشار إليه مع الفرقة الوسط فالعسكر الذي (مشي) من الدرب التحتاني هفي (فني) من ضرب الرصاص الحاصل من الفلاحين الرابطين في رؤوس الجبال ولما وصل إبراهيم باشا إلى قرية العنب التي بعدها عن القدس نحو ثلاث ساعات لاقت له جموع الفلاحين وصار الحرب فيما بينهم من الظهر إلى العشا وبات إبراهيم باشا وعساكره من غير أكل وخيلهم من غير عليق إلى الصباح وعند الصباح هجم عليهم هو وعساكره مثل الأسود فانكسروا الفلاحين وولوا الأدبار وهو مشي على القدس ودخل هو وعساكره ونزل هو في النبي داود والفلاحين الذين كانوا في القدس واستولوا عليها هربوا حينئذ جميعهم وصارت الذخاير تتقدم من طرف الديورة لأن القدس كانت مقحوطة والماكيل إلى إبراهيم باشا ودايرته أيضاً تقدم من دير الروم.

أخذ العسكر النظام في الشام:

وأما مادة مسك النظام كانت مبدية بالشام قبل حركة جبل القدس ونابلس وهو أن شريف باشا استحضر مشايخ الحارات سراً وأفهمهم أنه ليلة الخميس تتوزع عساكر في الحارات ويكونوا صباحاً على الأبواب وكل ما طلع أحد من بيته يمسكوه ويوجهوه للقشلة لكي الذي يطلع موافق بمعرفة الحكماء يدخل إلى النظام وهكذا صار في ١٠ أيار سنة ١٨٣٤ وإنما صار يوم مهول من البكا والضجيج وناس هربوا إلى البراري والجبال وناس توجهوا إلى بلاد بعيدة مثل بغداد والعرب وغير محلات والذين انمسكوا وطلعوا صاغ نحو سبعماية نفر وبعض ناس مقتدرين (أغنياء) أو لهم ملك باعوه واشتروا (دفعوا) بدلات عن أولادهم بمال جزيل وبالجهد الجهيد حتى يعطوهم أولادهم بالبدلات المذكورة ولما بدت حركة جبل القدس وجبل نابلس وجبل الخليل المذكورة صار توقف عن مسك النظام بالشام عدا الذي مسكوهم (سابقاً) لأن الأخبار بالشام تواترت أن عسكر إبراهيم باشا هفيوا حيث الطريق كان مقطوع عن ورود الأخبار الصحيحة.

امتداد الحركة:

ثم إن إسلام صفد هجموا على اليهود وسبوا حريمهم ونهبوهم على الإطلاق (التمام) وقتلوا منهم كم زلمه والإسلام في الشام وغيرها صاروا يتوعدوا للنصارى والعساكر ويرتبطوا (يتفقوا) على مثل ذلك. وقد بلغ ذلك إلى شريف باشا الحكمدار وكان عنده نحو أربعة آلاف عسكري بالشام فعمل الجهد والحرص الكلي هو والعساكر وقتل بوقتها واحد من رؤوس أهل الفساد الذي سمع عنه أنه تكلم بحق الحكم (الحكومة) اسمه ابن سقا

أميني من أهالي (حارة) العقيبة وصار الاحتراس ودوران الأطواف ليل ونهار في البلد فبسبب ذلك تهدوا أهالي الشام.

وكذلك قد تحركوا أهالي طرابلس على العساكر والنصارى فالعساكر كانوا نحو أربعماية زلمه هربوا إلى المينا وتحصنوا بها ووجوه النصارى هربوا إلى الجبل وبوقتها كان مصطفى آغا بربر معزول من متسلمية طرابلس فعمل حزب وهدّى (منع) أهالي البلد كلما كانوا ضامرينه. وأهالي الكرك والسلط ذبحوا العساكر الذين عندهم.

الأمير بشير في صفد:

ثم توجه الأمير بشير من طرف إبراهيم باشا لقصاص أهالي صفد فنزل على صفد ومعه نحو خمسة آلاف (كذا) عسكري من الجبل فقرروا له يهود صفد أن الذي نهبوهم الإسلام لهم أربعة وتسعين خزنة (كذا) مال عدا الذي لم يعرفوا فيه فصار الأمير بشير يجيب أهالي صفد ويخلص مال اليهود منهم ما عدا العذاب الذي عذبهم إياه فزبط (حجز) بيوتهم وأرزاقهم ومن الجملة راح منهم نحو مايتين زلمه قتل في عكا وفي غير مطرح.

العــودة إلى القتــال:

ومن خصوص إبراهيم باشا لما استقام في القدس فانجمعت عليه الثلاثة جبال جمعاً واحداً وصار مقدامهم رجل يقال له قاسم الأحمد وشيخ ثاني يسمى عيسى البرقاوي فمقدار الجموع الذين تجمعوا مقدار خمسة وستين ألف في نابلس واستقاموا أربعة أيام ويوم الخامس مشيوا على القدس حتى وصلوا لقريب جراح فطلع لهم إبراهيم باشا وصحبته ألفين

عسكري وأربع مدافع واصطلى الحرب بينهم من طلوع الفجر إلى بعد الظهر فانتصر عليهم فانكسرت جموع الفلاحين ولو كان موجود معه عسكر خيالة يلحقونهم كانوا قطعوا خبرهم حتى من الجملة كان موجود معه مقدار عشرين خيال عرب هنادي فقطعوا ثمانماية رأس من النوابلسة.

فرجعوا بعد أربعة خمسة أيام تجمعوا عليه وحضروا من ناحية بيت لحم إلى أن وصلوا إلى عند دير مار الياس فخرج لهم إبراهيم باشا وصار الحرب بينهم وكسرهم ويومها قتل أمير لواء شديد الباس (كان) ينبسط إبراهيم باشا منه كثير.

وأيضاً بعد أربعة خمسة أيام تجمعوا واجوا عليه من ناحية عين سلوان فخرج لهم وحاربهم وكسرهم. الغاية كل كم يوم يحضروا للمحاربة حتى عجز إبراهيم باشا أولاً (لأن) ذخيرته خلصت والثاني عسكره ذهب (فقد منه) وراح يقع عليه الزيار.

المخابرة بالصلح

فطلعوا لاحظوا المادة (رؤساء) الديورة فحضروا إلى إبراهيم باشا وقالوا له أفندم إن كان تريد سعادتك حتى ندخل بالصلح بينك وبينهم لأن ذخيرة ما بقي وعسكرك ذهب والفلاحين سادين الطرقات ومربطينها فارتضى بأن يمشوا بالصلح فالديورة والأفندية بعثوا مراسيل إلى المشايخ بالصلح فقالوا (المشايخ) بدنا الفردة ترتفع من بلادنا وطلب النظام يرتفع وعسكر لا ينوضع في بلادهم وغير المال المرتب القديم لا يكون.

فاعرضوا هذه الشروط على الباشا فارتضى معهم (لكن) أشرط عليهم أن يحط عسكر في قلعة القدس بسبب أنها تخص السلطان ويلزم لهم ذخيرة بالسنة ماية وخمسين غرارة قمح فرضيوا معه وأحضروا لعندهم قاسم الأحمد لبسه (قلده حكم البلاد) وطلع قاسم الأحمد لابس (حاكم) على البلاد وانفكت الطرقات وانفتحت الدروب.

حضور محمد علي باشا:

فثاني الأيام ركب إبراهيم باشا من القدس ومعه ستماية عسكري إلى يافا فوصل إلى يافا فوجد أبوه محمد علي باشا هناك فهذا مجيته إلى يافا لها سبب وهو أنه لما قامت البلاد وانزرك (تضايق) إبراهيم باشا في القدس فكتبت القناصل إلى محمد علي بأن البلاد قامت والعساكر ذهبت وإبراهيم باشا في أشد الضيق فحالاً محمد علي جهز ثلاثون ألف عسكري في البر والبحر ونزل في البحر وطلع إلى يافا فكانت مادة القدس خلصت.

أخلاف العهد:

وقاسم الأحمد لما لبس وطلع إلى البلاد اجتمعت المشايخ في نابلس و(مع) قاسم الأحمد وضربوا الشور في بعضهم وقالوا إن هذا لو ما كان عجز وبقي على حال التلف لم رضي في هذه الشروط فهذا الأوفق إننا نعاود نجتمع عليه ونهلكه ونكسب وجه الأبيض مع السلطان ومنفور (نفتخر) على جميع البلاد فكان سابقاً إبراهيم باشا بعث أناس يحضروا القمح الذي صار عليه الشرط إلى العساكر الذين في القلعة فقاموا طردوا الذين تحولوا بلم القمح وأرسلوا له خبر أنه ما عندهم إلا رصاص وبارود فهذا شي (كان) لنحسهم فلما وصل الخبر (لإبراهيم باشا) أن الفلاحين قلبوا عن الشرط فجهز العساكر الذين حضروا مع محمد علي إلى يافا وطلع لمحاربتهم فتجمعوا في ضيعة اسمها الدير قبال ضيعة زيتا فحضر إبراهيم باشا وحط على زيتا وثاني يوم صباح علق الحرب بينهم فانكسر الفلاحين وقتل منهم نحو سبعماية نفر ما عدا الذين انمسكوا يسرى (أسرى) وهرب قاسم الأحمد وباقي المشايخ والباقي تشتتوا وأمر إبراهيم باشا على القرية بالحريق ومشي بالعساكر على ضيع نابلوس فالقرية الذي ينظر أهلها راحلة يأمر عليها بالحريق والضيعة الذي أهاليها تحضر لعنده تطلب الأمان يعطيها الأمان حتى من الجملة حرق ستة قرايا كبار إلى أن وصل لقرية جباع فنصب عرضيه فيها وثاني يوم قام إلى نابلوس فطلعوا أهالي نابلوس لملاقاته والمحارم في رقابهم طالبة الأمان فأعطاها الأمان وحط عرضيه برات نابلس على الماء وصار يرسل يحضر المشايخ وأصحاب الحركة يقتلهم ومن الجملة قاسم الأحمد وعيسى البرقاوي هربوا إلى الخليل وكل هذه العصاة تجمعت في الخليل يبقى لهم كلام.

فنرجع إلى إبراهيم باشا (فإنه) أولاً طلب منهم الفرده وثانياً طلب السلاح وصار يجمع البارود وغيره إلى أن جمع سلاح البلاد جميعه حتى صار البارود (البواريد) مثل الحطب مكوم تلول وصار يكسره وراقت البلاد جميعها ومشيت الطرقات وصاروا مثل الغنم للذبح ما عدا جبل الخليل بقي عاصياً والمشايخ والأشقيا الذين توجهوا من بلاد نابلس كلها اجتمعت في الخليل.

عصاوة الخليل على إبراهيم:

فبعد ما خلصت مادة نابلوس توجه إبراهيم باشا إلى القدس ومن القدس توجه إلى الخليل ونصب عرضيه على البرك قاطع بيت لحم وأرسل أناس إلى أهالي الخليل يفيدوه هل هم طايعين أم عاصيين فكان جوابهم أنهم ليس هم طايعين وما عندهم إلا رصاص وبارود فأعاد عليهم السؤال ثانياً وثالثاً فبقيوا على زعمهم فثاني يوم توجه عليهم بعساكره المظفرة لأنهم كانوا مجمعين بعيد عن الخليل ساعتين فعلق الضرب بينهم نحو ثلاث ساعات فانكسرت جموع الخليل وارتدت على الخليل فلحقوهم العساكر إلى الخليل وصار الحرب بينهم فهجمت العساكر هجوم الأسود الكواسر على الخليل وأعطاهم يغما (إباحة) فصار النهب والسبي والذبح نهار كامل إلى أنهم نهبوا كامل أرزاق الخليل وكان شي لا يحصى والذي قتل من أهالي الخليل نحو ستماية نفر وانكمش ستماية نفر يسرى فأرسلوا شي إلى عكا وشي إلى مصر وانمسكماية وعشرون ولد من ابن ثمانية سنوات إلى ابن اثني عشر سنة فدخلوهم إلى النظام ولم بقى في الخليل غير العاجز

والاختيار. فلما صارت الموقعة هربوا مشايخ نابلوس الذين كانوا بالخليل وهم قاسم الأحمد وعيسى البرقاوي وباقي المشايخ إلى السلط والكرك.

الانتقام من أهأل الكرك:

فلما خلص إبراهيم باشا من الخليل توجه على الكرك ونصب عرضيه عليها فخرجت النصارى ووضعوا المحارم في رقابهم إلى عند الوزير وقالوا له نحن نصارى دم (ذميمين) ولا لنا ذنب في الذي صار بوقت ذبح العساكر (بالكرك) وغيره فأعطاهم مهلة ثلاث ساعات ينقلوا أرزاقهم ويخرجوا من البلد فنقلوا الذي قدروا على نقله فبعد ما طلعوا أعطى العسكر يغما عليها فدخلت العساكر والذين وجدوه قتلوه ونهبوا جميع الذي كان باقي وأمر (إبراهيم باشا) العسكر أنهم

مهدانة ففعلوا حسب الأمر وأعطى النصارى الذين خرجوا من الكرك قريتين في حوران لأجل سكنهم وتوجه من الكرك إلى السلط كمل على خراب قلعة السلط وبيوت السلط عملها فلاحة (بعد خرابها).

قصاص أصحاب الحركة:

فسأل عن مشايخ نابلوس فأخبروه أنهم هربوا إلى العرب فحرر أوامر إلى جميع العربان بأن في أي عشيرة نزلوا مشايخ نابلوس (يجب) تمسكهم تلك العشيرة وتحضرهم.

وتوجه استقام في المزيريب وحرر أوامر إلى جميع البلاد الذين أظهروا العصاوة وتحركوا بوقت الحركة يقع عليهم القصاص ومن الجملة حرر أمر إلى طرابلس فقتلوا حكامها ثلاثة عشر زلمة من أعيانها وبقيوا

مرميين في شوارع طرابلس ثلاثة أيام ومن أهل عكار وصافيتا وغير محلات جملة شي قتلوهم وشي أرسلوهم إلى عكا وشي إلى مصر. الغاية جميع البلاد تقاصصوا واضمحلوا أكثر من الأول.

قتل مشايخ نابلس:

فنرجع إلى مشايخ نابلوس فلما توجهت الأوامر إلى مشايخ العربان بطلبهم كانوا نازلين نحو ماية وعشرين زلمة عند ابن دوخي شيخ عرب عنزه فلما وصلوا إلى عنده كتفهم جميعهم والا الخيل واردة في طلبهم فسلمهم إلى الخيالة وتوجه معهم سلمهم إلى إبراهيم باشا فبعث إبراهيم باشا قاسم الأحمد وعيسى البرقاوي إلى الشام فقطعوا رؤوسهم بالشام أحدهم رموه في باب السرايا والثاني رموه في سوق الخيل وباقي المشايخ أرسلوهم إلى عكا فقطعوا رؤوسهم هناك.

واستقام (إبراهيم باشا) مدة كم يوم في المزيريب وتوجه إلى الشام ودخل يوم السبت في ٨ جمادى أول سنة ١٢٥٠ في عسكر جرار شي ما شاء الله نحو خمسة وعشرين ألف عسكري كل الاي بالاليه وكل بلك ببلكه وصار يومها فرجة عظيمة ودخل على الميدان. على باب السرايا. على السروجية. على مز القصب. على القابون فانتصب الأوردي في سهلة القابون وانتصب صيوان سعادته هناك.

العودة إلى جمع السلاح:

وكان سابقاً قبل ما حضر وزير إلى الشام بكم يوم طلب شريف بك الحكمدار من الشام السلاح أولاً طلب البارود (البواريد) من جميع الحارات

فجمعه وصار تعصيد (تشديد) كلي فبعد أن جمعه عسره وباعه إلى الحدادين وبعد لم البارود بكم يوم طلب لم السيوف فوردوهم وصار تواصي في الكنايس والديورة قاطعة فصار الذي عنده بارودة يحضرها إلى دار البطركية وتتورد إلى الحكم (الحكومة) وبعد ما انجمع السلاح من البلد أمر الحكمدار على جميع الحارات أنهم يحرروا حجج (سندات) على أنفسهم كل حارة بحارتها إن كل من انوجد عنده سلاح من الآن إلى بعد سنين يكون قصاصه القتل فحرروا حجج على أنفسهم بذلك.

فلما حضر إبراهيم باشا واستقام في القابون فتعد يومين نزل إلى الشام وعمل ديوان وسأل على مادة البارود فوجد أنه التم من كامل البلد نحو أربعة آلاف وخمسماية بارودة فتخلق (غضب) من هذا الحال وأمر أنه لازم يوردوا بارود قدر زلم الفردة فصار تقريط (تشديد) كلي فالذي ما عنده بارودة يلتزم يشتري بأغلى ثمن ويقدمها والذين عليهم العين يطلبوا منهم خمسة بواريد إلى حد العشرة حتى التم جميع البارود في الشام.

جمع السلاح عام:

وحرر أوامر إلى جميع البلاد بجمع السلاح مع جميع القرايا فانجمع سلاحها وأيضاً أرسل أمر إلى جبل الدروز (لبنان) في جمع السلاح فالتم جميعه من النصارى والدروز ما عدا دروز جبل حوران أبقي لهم سلاحهم لأجل يحاموا عن أنفسهم من العرب.

فبعدها ترتبت الأحكام وصار أمنية الطرقات وتفرقت العساكر إلى جميع البلاد وتوجه إبراهيم باشا من الشام إلى مصر ودخل في موكب عظيم

وصارت زينة في مصر لأجل حضوره ثلاثة أيام بلياليها وراقت الأحوال إلى دخول سنة ١٢٥٣ هجرية (الموافقة لسنة ١٨٣٧ مسيحية).

العودة إلى جمع العسكر:

فبدأ أولاً عطل الأسباب (التجارة) على جميع الصنايع وبعده حضر إبراهيم باشا إلى عكا وحرر أوامر إلى شريف باشا وحكام البلاد جميعها ومشايخ بلاد نابلوس وأمراء اللواء والضباط جميعها ولبحري بك بالحضور لطرفه فبحضورهم اجتمع معهم ساعتين وأمرهم أن مراده ينمسك من كامل حكمه نظام من العشرة واحد وقام نزل إلى البحر والمذكورين كل منهم حضر إلى منصبه ووظيفته وبدا لم النظام من جميع البلاد وقبل وصول شريف باشا للشام حرر إلى حافظ بك متسلم الشام أنه قبل وصوله للشام يبادر بمسك النظام من العشرة واحد فصادف مسك النظام قبل حضور شريف باشا بيوم فصار في الشام شي مهول ومسكوا جملة من النصارى واليهود مع الإسلام لسبب أن اليهود كانوا يلبسوا الإسلام لفاتهم ويبرطلوا العسكر حتى ما ينمسك الذي يكون اليهود لبسه لفته فبلغ ذلك للحكم (رجال الحكومة) فنزل يوزباشي سود اللون لعين المنظر صار ينبه على العسكر أنهم يمسكوا إسلام ونصارى ويهود وصاروا العسكر يدخلوا على البيوت وايمن وجدوه وكان شب يمسكوه ويومها النصارى قضوا نهار مثل الزفت واستقام ذلك من ضحوة نهار لبعد العصر حتى أولاد النصارى واليهود صاروا يحضروا إلى أهاليهم (بيوتهم) وقضوا رعبات (شديدة) هم وأهاليهم واليوزباشي الذي نزل نبه على العسكر بمسك النصارى واليهود أخذوا

سيفه ونيشانه وضربوه زخمات ونزلوه إلى (رتبة) النفر بحضور السنيور بودين وكيل دولة فرنسا بالشام.

وفي أثناء ذلك تزايد وقوف الحال والصناعية هربت وصار المسك من قرايا الشام وأغلب الناس فروا على الجبال وتركوا أرزاقهم داشرة في البرية وإذا انمسك ولد من أولاد الأغنياء يقدموا بدله واحد من الفلاتية (الفالتين) حتى وصل البدل إلى العشرة آلاف.

حرب إبراهيم باشا على الدروز

الدعوة لأخذ العسكر:

ومن الجملة حرر (إبراهيم باشا) أمر إلى الدروز الذين في جبل حوران بطلب (عسكر) نظام لأنه في السابق ما انطلب منهم (عسكر) نظام فنزل شيخ الدروز الشيخ يحيى الحمدان وتواقع على شريف باشا (راجياً) أن يرفع عنهم لم النظام فما أمكن إلا أن يقدموا ماية وسبعون زلمة وتعهد أنه يمشي مائتين فدان زيادة إذا ارتفع عنه النظام فما صار فائدة فطلع يحيى المذكور وجمع المشايخ (فكان) فموجود رجل شيخ (عقل) ربة ديانتهم يسمى الشيخ حسين أبو إبراهيم رجل سحار فقال لهم إن هذا الحكم (الحكومة) قرب انتهاه فإذا رحلتم إلى اللجاه لحينما ينتهي هذا الحكم أوفق لأن بقت المدة قصيرة وبسبب اعتقادهم عليه سمعوا من شوره ونهضوا بالسرعة ودخلوا إلى اللجاه من غرة رمضان (سنة ١٢٥١) بأرزاقهم وعيالهم واتفقوا مع عربان السلوط القاطنين في اللجاه فصار جملتهم مقدار ألفين نفر فلما شاع هذا الخبر كل من كان هارب من وقت مسك النظام وكل شقي حضروا إلى عندهم حتى صاروا جمهور كبير.

أول مناوشة:

و(كان) موجود قرايا إلى بحري بك وشريف باشا في حوران وموجود فيهم غلال فتوجهوا نهبوهم وقتلوا الوكلاء فلما بلغ ذلك شريف باشا فأرسل هواري باشي (رئيس عسكر الهوارة) علي آغا البصيلي بثلثماية خيال واجتمع بمتسلم حوران في ضيعة قريبة من اللجاه مقدار ساعتين وأرسلوا

لهم مرسال يتهددهم (بالعقاب) عن ما فعلوه من نهب الضيع فجاوبوهم أنهم طايعين ويرجعوا كلما أخذوه وأن يترجى لهم الوزير برفع النظام فجاوبهم أنه يمشي بالصلح ويعمل لهم شي يريحهم وعرف (البصيلي) شريف باشا في الليل عن ذلك بزعمه أنهم متى طلعوا (عادوا) إلى قراياهم يبقى يفعل مراده فيهم (لكن) طلعوا أمكر منه ففي تلك الليلة حضر جملة دروز إلى الضيعة طلوع الفجر وكبسوه فلما استفاق العسكر نظر صاير الذبح به فنهض البصيلي وركب حصانه بالزلط وهرب والمتسلم وقع بيدهم فذبحوه وباقي العسكر قتلوه ولم سلم غير ثلاثون نفراً لحقوا آغاتهم وحضروا أخبروا الحكمدار (شريف باشا) بما حصل وأنهم من بعد قتلهم العساكر نهبوا القرية وتوجّهوا إلى اللجاه.

موقعة بصر الحرير:

فلما بلغ الحكمدار ذلك جهز الابين قرابة نظام (شبه نظام) وجباخانة قوية وتوجه صاري عسكر عليهم محمد باشا مفتش الهادية وطلعوا من الشام نهار عيد رمضان فلما وصل إلى حوران كان الدروز في قرية اسمها بُصر (الحرير) ومحاصرين فيها وعاملين متاريس فاجاهم محمد باشا بالعسكر وضرب عليهم كم مدفع فخرب الضيعة وشي قتل من الدروز وشي هرب.

أول موقعة في اللجاء انهزام:

فلحقهم نحو أربع ساعات حتى صار باللجاه فتعب العسكر من الجري خلفهم ومراده يدخله خلفهم وكان في العسكر أورطة نحو ثمانماية زلمه

دروز فخاوزت (فخانوا) فصار الضرب بينهم وبين العسكر وكان الدروز الذين في اللجاه عاملين كماين وراء الصخور فاشتغل الضرب منهم (حينئذ) وقتل محمد باشا وأيوب بك مير اللواء وأربعة عشر ضابط والأورطة التي خاوزت دخلت اللجاه وباقي العسكر شي قتل وشي رجع إلى خلف وصارت كسرة مهولة.

موقعة كبيرة بانهزام:

فلما بلغ الحكمدار ما جرى فحالاً ركب بنفسه وتوجه إلى عند العساكر الباقية هناك فلما وصل لمّ العساكر ولبس ضباط جدد ووضع العرضي في (قرية) تبنة قريبة للجاه وصار يكاتب إلى (الضباط) العساكر الذي في البلاد فصاروا يورّدوا عليه إلى أن صار عنده عشرين ألف واعرض عن ذلك إلى والي مصر محمد علي باشا فأرسل له وزير اسمه أحمد باشا فحضر من مصر إلى الشام بسبعة أيام وتوجه إلى العرضي واستقام كم يوم في الأوردي. وجهزوا حالهم إلى الدخول على اللجاه فنبهوا على العساكر ليلة السبت أنه يوم السبت الصبح يتوجهوا على اللجاه.

فثاني يوم شريف باشا وأحمد باشا دخلوا بالعساكر على اللجاه وبقيوا ماشين من الصبح إلى قبل العصر فلم نظروا أحدا فباتوا باللجاه وثاني يوم مشوا إلى الساعة الثالثة بالنهار وكانت الدروز عاملة كماين وراء الصخور فلما أقبلت العساكر عليهم اشتغل ضرب الرصاص وعلق الحرب بينهم فصارت العساكر تقوص على الحجار والدروز يقوصوا على لحم وتهجم عليهم العساكر والدروز تنتقل من كمين إلى آخر والعساكر تتساقط إلى أن أحمد باشا تقوص في ثلاثة مواضع وشريف باشا تقنطر ولولا البصيلي ما

كان سلم وانكرت العساكر راجعة والدروز في أثرهم وتقتل منهم إلى أن وصلوا إلى تبنة وكسبوا الدروز الذخاير والجباخانة والمال. والعساكر تشتتوا وبقيوا ينجروا إلى الأوردي مقدار يومين فزبطوا (ضبطوا عدد) الذي راح في هذه الموقعة من العساكر (فكان) نحو أربعة آلاف عسكري ما بين مقتول ومأسور ومن الدروز نحو ثلاثماية نفس.

صدى الانكسار:

فثاني يوم وصل الخبر إلى الشام فتظاهروا الإسلام (ثاروا) وصاروا يعملوا روابط (اتفاقات) على النصارى والنظام الذي باقي في الشام وقصدهم يقتلوهم وينهبوا النصارى والنصارى تمسي وتصبح في الخوف في هذه الجمعه.

مراسلات:

فبعده حضر مكاتبة من الدروز وأرسلوها إلى شيخ ضيعة الهجانة وعرّفوه أن يعطي مكتوب إلى المفتي ومكتوب إلى شمدين آغا ومكتوب إلى البوظلي في الميدان فنزل شيخ الهجانة أعطى المكاتيب (لأصحابها) فالمفتي لما قرأ التحرير حالاً حرقه وشمدين آغا لما فتح المكتوب وقراه وجد مكتوب فيه. إنه بلغك ما جرى في العسكر وذبحه فالمراد أن تعطونا يدكم لأنه مرادنا ننزل على الأوردي نكبسه ونكمل على الباقي ونتوجه إلى الشام نكمل على (قتل) العسكر الذي في الشام ونخلص من مونة هذه الدولة نحن وأنتم ونكسب وجه الأبيض نحن وأنتم عند السلطان فانهضوا همتكم.

فلما قرأ (شمدين آغا) المكتوب حالاً أخذه وأخذ شيخ الهجانة ونزل إلى عند حافظ بك متسلم الشام وأعطاه المكتوب فلما نظر حافظ بك الحال أرسل وراء المفتي وسأله عن المكتوب الذي حضر له (كما قرر شيخ الهجانة) فقال له بحال إن وصلني حرقته فحالاً أرسل أوضباشي ومعه أنفار لأجل يحضروا البوظلي فتوجهوا لعند المذكور فلما نظرهم حس (أدرك) على المادة فداور الأوضباشي لأنه كان ميداني من أهل حارته استحى منه وقال له حتى تركب وتنزل على الزفتية فركب البوظلي ومعه الأوضباشي فلما وصلوا إلى برات البلد فضرب حصانه بالركب وغار مثل البرق وهرب إلى اللجا لعند الدروز.

العــــاقبة:

فلما رجع الاوضباشي لعند المتسلم وأخبره بهروبه فحالاً قطع رأسه قدام باب السرايا وقطع راس شيخ الهجاني ورس واحد ميداني من المجرمين فلما قطعوا رأس الثلاثة وشافوا (هذا) أهل البلد حالاً رجعوا عن غيهم وبعد ثلاثة أربعة أيام قطعوا راس واحد من باب توما اسمه إبراهيم الحارس وعزلوا التفكجي باشي الذي كان واقف لأنه ميداني وجماعته ميادنة ولبسوا واحد كركتلي كان تفكجي باشي في مدة العثملي وخدّم عنده جماعته كراكتة وغربية (كذلك) فكل ما لهم أهل البلد مانوا بالزايد (زاد خوفهم) وصار الحكم كل يوم يومين يقطعوا راسين ثلاثة دروز يكمشوهم قطاع طريق أو عرب على هذا وقيس فراقت الشام ولكن الأدرب مقطوعة ودروز اللجاه كل يومين ثلاثة يطلعوا وينهبوا من ضيع حوران حتى نهبوا جميع الضيع التي في حوران وحتى إذا كان متوجهة ذخيرة للأوردي

ينهبوها ويصلوا إلى قرايا المرج شي يبلصوها وشي ينهبوها حتى قطعوا جميع الوارد إلى الشام.

فعلق الغلا في الشام لأنهم من أول البيدر كان سعر كيلة القمح (٧) وشي واجد فلما صارت هذه المادة بدا القمح يرتفع حتى صار سعرها ٣٥ (غرشا) وذلك في صوم الكبير والأسباب لكسب المعاش واقفة لأن هذا الغلا عمره ما حصل وكل ذلك من حركة الدروز وكل ما لها العساكر تورد وتطلع للأوردي وسخر (الدواب) الدروب عمالة حتى ما عادت حضرت دابة للشام من زيادة السخر.

دروز لبنـــان:

وأيضاً دروز الأقليم (البلان) وحاصبيا وراشيا حضر تحارير من دروز اللجاه أنهم يتوجهوا يعصوا عندهم فجيشوا وتجمهروا نحو سبعماية نفس وصاروا يقطعوا الدروب فوصلوا إلى عند سعسع ولأجل الصدفة يومها حاضر جباخانة من عكا وصحبتها ثلاثين أربعين عسكري فنهبوا الجباخانة وقتلوا العسكر الذي صحبتها ومن الجملة صادفوا مقدار عشر مقادسة ديار بكرية في طريقهم فقتلوهم ونهبوهم.

في وادي التيم:

فلما وصل الخبر إلى الشام تجهز أربعة آلاف عسكري وصاري عسكر عليهم الأمير سعد الدين الشهابي أمير حاصبيا وكان (محمود) ابن الأمير خليل نازل من الجبل (لبنان) لأجل المحافظة واتفق مع العسكر وصار

يلحقوهم في الجبال وفي قرايا الإقليم (البلان) العاصية ويحاربوهم حتى قتلوا منهم نحو أربعماية زلمه والباقي هربوا إلى اللجاه فتوجه الأمير سعد الدين إلى حاصبيا ومسك أربعة وعشرين زلمه مشايخ الدروز وقاضي الدروز معهم وخشبهم وأرسلهم إلى الشام فوصلوا رابع عيد الفصح وصار عليهم فرجة عظيمة وحضرت العساكر إلى الشام الذين كانوا طلعوا إلى الدروز الذين أخذوا الجباخانة في سعسع وانقضت مادتهم.

نجدة كبيرة:

وكلما لها مادة اللجاه تعقدت والعساكر تطلع إلى الأوردي ومن الجملة حضر مصطفى باشا وزير كريد وصحبته نحو سبعة آلاف (عسكر) أرناؤوط فوصل إلى الشام نهار خميس الكبير ويومها حضر إبراهيم باشا من ناحية شمال ويوم سبت النور توجه إلى الأوردي.

ومن يم (جهة) الارناؤوط منهم نحو أربعماية نفر نصارى فحضروا عيد الفصح بالشام وعملوا شنك كثير يومين العيد في الكنيسة وتوجه مصطفى باشا والارناؤوط يوم اثنين القيامة ومن الجملة النصارى الذين معه توجهوا من السرايا وحدهم وفاردين بيرقهم وفي رأسه صليب ومن السرايا إلى بوابة الله ماشين ويقولوا (يرتلوا) خرستوس انستي في العالي (المسيح قام) حتى المسلمين يومها كادوا يفقعوا.

إبراهيم باشا في اللجا:

ومن خصوص إبراهيم باشا وصل إلى الأوردي وثاني يوم ركب وأخذ معه كم زلمه وتوجه إلى أطراف اللجاه وتمايز ودار نحو ساعتين ثلاثة

ورجع إلى العرضي وثاني يوم قسم العرضي أربعة فرق كل فرقة وضعها في جهة لأن العرضي حاوي أربعين ألف عسكري فجعل على كل فرقة مقدام (قائد) وزير من الوزراء فاستخبر إبراهيم باشا عن الماء الذي في اللجاه فأخبره أنه ما في ماء غير عين ماء مليحة في اللجاه (يعيدة) مقدار ثلاث ساعات والدروز يحضروا من مسافة ثلاث ساعات يملوا منها.

بـــراق:

فحضر إبراهيم باشا واستقام على ضيعة اسمها براق قبالة مدخل اللجاه الذي على درب الماء وصحبته الأرناؤوط والاي نظام فلما بلغ الدروز أنه حط على هذه القرية فهموا أن مرامه يمسك الماء ومتى ملك الماء يحصل لهم ضيقة لأنه في وسط اللجاه موجود ماء جمع متى حضر الصيف تنشف فمرامهم يقيموه من هذا المحل فتجمعوا وحضروا عليه نهار الخميس جمعة الفصح قبل الفجر وهجموا على الأوردي وصار الضرب بينهم وكانت الارناؤوط تعبَّت خلف الصخور وصار ضرب الرصاص والحرب من قبل الفجر إلى بعد الظهر فقتل يومها من الدروز نحو ثلثماية زلمه ومن العساكر نحو ألفين وبعد الحرب انكسرت الدروز وولوا هاربين وللنجاة طالبين فلحقوهم الارناؤوط مقدار ساعتين ومسكوا متاريس وصار مراد إبراهيم باشا يرجعهم فما قبلوا يرجعوا فلما نظر الارناؤوط ما رجعوا فتقدم الأوردي إلى عندهم وحط داخل اللجاه وصارت الذخائر والماء ترد عليه من خارج اللجاه.

قتـــال الليـــل:

فلما فهم الدروز أنه دخل إلى اللجاه وصار قريب إلى الماء فتجمعوا وحضروا الأوردي بالليل مرادهم أنهم يدهموه ويكسروه فالأوردي كان متيقظ فصار (حينئذ) الحرب من الأوردي ومن الدروز (بشدة) حتى الأخ ما عاد يعرف أخوه من نصف الليل إلى أن طلعت الشمس فربنا نصره عليهم فانكسروا الدروز والعساكر في أثرهم إلى أن وصلوا وملكوا (عين) الماء التي كانوا الدروز يستقوا منها ونصب عرضيه الباشا على الماء وأخبروا أن هذه الموقعة أكبر من كل المواقع التي حصلت لأنه قتل من الفريقين شي كثير والغالب (الأكثر) من العسكر كان يخب في الدم والقتلى إلى الركبه.

حالـــة الشام:

وأهالي الشام في هذه السيرة يتذاكروا وتبات الناس وتصبح في هذا الهم أولاً من الغلا الحاصل وثانياً من العداوة الحاصلة فيما بين الإسلام والنصارى وتوعدهم بالردي لهم والسبب واقف وكل يوم أتعس من يوم وكل جمعة أتعس من جمعة.

سعر العملة:

حتى من الجملة نحس الوقت صار تنبيه على المعاملة نهار رابع الفصح لأنه كان الغازي الجديد (ذهب) في ٢٠ نبهوا عليه في ١٧.٥٠ والقمري الكبير (كان) في ٤.٥ صار في وربع فندقلي (كان) في ٩ صار في ٨.٢٥ واسكان [1](كان) في ٢٦.٢٥ صار في ٢٥.٥٠ ونصف، جهادي

---

[1] [الفندقلي والاسكان Sequin من عملة البندقية والباقي من أصناف العملة المذكورة التي كانت رايجة حينئذ من السكة العثمانية].

كان في ٢٦.٢٥ صار في ٢٥.٥٠، وجهادي قديم كان في ٦٥ صار في ٦٠، وغازي قديم كان في ٢١.٥٠ صار في ٢٠، وربعية ظريفة كانت في ٣ صارت في ٢.٢٥. فلما حصل هذا التنبيه كان الحال واقف عشرة قراريط صار واقف أربعة وعشرين قيراط.

الذخيـــرة:

فلما صار العرضي عند الماء وسط اللجاه حرر أوامر إلى أهالي حوران أنهم يقدموا خبز على الفدان ثلاث أرطال والخبز (مع هذا) وارد من الشام مع البقسماط كل يوم والذخائر واردة من الشام للأوردي من رز وغيره وكل هذه الثقلة حاملتها الشام.

محاولـــة:

فلما نظروا الدروز أنه ملك الماء فأرسلوا أربعة مشايخ يتواقعوا على الوزير بإعطاء الأمان فجاوبهم أنهم يوردوا السلاح جميعه والمال الذي نهبوه من (قرى) حوران والنظام المطلوب منهم أصلاً فارتضوا بذلك (ظاهراً) قصدهم أعطا الأمان (لهم) فقال لهم حتى توردوا المطاليب وتطلعوا إلى الأوردي (العسكر) وأخذ النظام المطلوب (منكم) أبقى أعطيكم الأمان فقالوا له أرسل مرسال حتى نجمع له السلاح فأمر علي آغا البوصيلي أن يدخل يحضر السلاح فدخل البوصيلي وصحبته عشرة أنفار فحالاً وصل الخبر للشام عن ذلك فلما بلغ الناس فرحوا فرحاً عظيماً خصوصاً النصارى لظنهم أنها خلصت المادة فثاني يوم انبدل الخبر بضده بأنه دخل البوصيلي لعندهم فأحضروا له السلاح الذي كانوا ناهبينه من العسكر فلما نظر

البوصيلي سلاح العسكر وسلاحهم ما وردوه فقال لهم إنه صاير الكلام إنكم توردوا سلاحكم. فقالوا نحن سلاحنا ما نسلمه وإن كان مراده سلاحنا ليرفع العساكر عنا ويرجعها إلى الشام ويعطينا أمان ونرجع إلى قرايانا بوقتها نسلمه سلاحا ونلم له النظام. فتكلم معهم البصيلي فما حصل فايدة ورجع أخبر الوزير عنما جاوبوه.

تجديد القتال:

فلما سمع هذا استمال إلى الغضب بزيادة وتجدد (العزم على) الحرب من أول وأرسل أحضر من الشام جباخانة وكل يوم تصطلي نار الحرب بينهم وبينه وأيضاً قسم العساكر أربعة فرق ووضعهم داير اللجاه فأول فرقة شريف باشا صاري عسكرها والثانية سليمان باشا الفرنساوي والثالثة مصطفى باشا باشة كريد وصحبته الارناؤوط والرابعة إبراهيم باشا وكل يومين ثلاثة يركب إبراهيم باشا ويأخذ معه جملة عساكر ويمشي دليل قدامه من أهالي البلاد اسمه عيسى المخول يدله على برك المياه الذي دائر (بأطراف) اللجاه والذي وسط اللجاه وبحال وصوله إلى الماء يلتقي الدروز حاطة على الماء فيصير الحرب بينه وبينهم حتى يقيمهم من عند الماء ويأمر العساكر بردم البركة وفي ظرف ثلاثة أربعة ساعات يطمروها حتى تصير أرضاً يابسة ويتوجه إلى غيرها يحاربهم ويطمرها فعمل شغلته طمر البرك.

غزوة على العرب:

وأيضاً أخبروه أنه في (يوجد) عربان خارج اللجاه وادعين الدروز عندهم كل الطرش الذي نهبوه من حوران وغيره ومرسلين إلى عندهم عشرة حريم عواجز من الدروز لأجل يجبنوا من الطرش ويعملوا لهم لبن ويرسلوه إلى الدروز وأنه محل الحرب (وقت الحرب) يدخلوا (العربان) يحاربوا مع الدروز فوجه عليهم جملة عساكر نهبوهم ونهبوا بنات وأولاد الذين وقعوا فيه قتلوه وبالغوا (بالغ الناس بالكلام) عن الذي نهبوه منهم مقدار ثمانين ألف ماشية وصاروا يبيعوه في الشام وبرها في البلاش (بالثمن الزهيد).

شبلي العريان:

وبعده في أواخر شهر ربيع الأول خرج من اللجاه رجل شرير فارس من الأبطال المشهورة اسمه الشيخ شبلي العريان فهذا من دروز راشيا وهو الذي كان سبب الفتنة دروز راشيا وحاصبيا وال إقلي وبوقت أن صارت الطوشة مع الدروز (القتال) في سعسع هرب ودخل إلى اللجاه فلما نظروا الدروز الذين في اللجاه بأنهم مغلوبين وإبراهيم باشا لم كان يحل عنهم وتضايقوا من (قلة) الماء فعملوا رابطة (اتفاق) بأن هذا الشيخ شبلي يتوجه من عندهم ويهيج دروز راشيا وحاصبيا والإقليم (البلاد) ودروز جبل الشوف فتوجه المذكور ومعه نحو مايتين زلمه فبوصوله إلى راشيا كان محل (وقت) الفجر فدخل على السرايا وقتل المتسلم بفراشه وقتل واحد نصراني من أتباع المتسلم والمتسلم شامي اسمه ابن الجعفري ونهب بيت نقولا ضاهر ونزل على القرايا يقبب (يهيج) الدروز فقامت معه دروز حاصبيا وراشيا والاقليم وصارت عزوته نحو أربعة آلاف درزي.

امتـــداد الثـــورة:

فلما سمع إبراهيم باشا بالأول أن معه ماية زلمه ظن أن باقي الناس طايعين وبلغه أنه قتل المتسلم فأرسل عليهم عسكر نحو ألف زلمه وأرسل خلف العسكر ماية عسكري طوبجي ومعهم كم مدفع فلما وصل العسكر توجه معهم أخو الأمير سعد الدين فتحاربوا مع الدروز فانكسر العسكر وقتل أخو الأمير سعد الدين (محمد) ولحقوا العساكر إلى أن وصلوهم إلى راشيا فدخل العسكر وحاصر في السرايا والدروز ضربوا ياطوق حوالي السرايا فوصلوا الطوبجية فلما نظر هؤلاء ما هو (واقع) تعلوا (مرتفعين) إلى الوعر وحاصروا بالمدافع.

الحـــرب خدعـــة:

فما قدروا الدروز يهجموا عليهم فصبروا إلى الليل وجابوا نحو ثمانين رأس بقر وهججوهم ناح المدافع (ساقوهم إلى جهة المدافع) فسمعوا الطوبجية الطوشة (الجلبة) وظنوا أن الدروز هاجمة عليهم (للغدر بهم) فشغلوا ضرب المدافع على البقر والدروز خلوهم ملتهين بالبقر وأخذوها ضهرهم (من وراء) ونزلوا عليهم بالرصاص وما خلص منهم إلا القليل وأخذوا الدروز المدافع والذي بقي (حياً) من الطوبجية خلوهم عندهم.

صدى الانكسار:

فلما بلغ الخبر إلى أهالي الشام أي إسلامهم انسروا قالوا شوفوا متى تحرك جبل الدروز يرتخي إبراهيم باشا.

وفي أثناء ذلك (كان) موجود واحد من الميدان شرير اسمه عبد المحسن فهذا يوم مسك (العسكر) النظام مسكوه وحطوه في القلعة فدلى حاله من فوق السور وهرب وعمل له زمرة كم واحد وصار مسكنه البرية يقطع الطرقات وكلما نظر عسكر يهجم عليهم ويقتل منهم ويهرب ويحضر ينام في بيته في الخفية إلى أنه ذات ليلة إذ طلع في الليل نظره العسكر وكان مرادهم يمسكوه فضرب العسكر وقطع يد واحد منهم وجرح الباقي وهو هرب فوصل الخبر إلى الحكم فطلعوا كمشوا كم واحد من حوالي بيته ونهبوا بيتين ثلاثة والذين مسكوهم ما لهم ذنب وقرروا عليهم أهالي الميدان بأن هؤلاء ما لهم ذنب فجاوبهم المتسلم فمن هو صاحب الذنب فقالوا له واحد اسمه عبد المحسن فقال لازم إنكم تجيبوه والا برؤوسكم فطلعوا أكابر الميدان حطوا عليه رواقيب إلى (ذات) يوم كان نهار الجمعة آخر ربيع أول نظروه حضر إلى بيته فاحكوا إلى أكابر الميدان وأن صاحبته حضرت لعنده فلما طلعت صاحبته من عنده مسكوها وأخذوها لعند حافظ بك (المتسلم) فقررها فقرت أنه في البيت فحبسوها احتساباً لئلا تتوجه تقرر له ويهرب فأخذ المتسلم جملة عسكر وبعد الصلاة طلع إلى الميدان لبيت عبد المحسن فتحاوط العسكر البيت ولما درى عبد المحسن أنه ما عاد له درب للخلاص صار يقوص العسكر من الشبابيك وصار الهد في البيت حتى وقع ونزلوا عليه بالرصاص فأنصاب وأخرجوه من البيت وذبحوه ونهبوا بيته وبيتين حواليه وربطوه من رجليه وسخروا نصارى سحبوه مثل الكلب من الميدان ورموه قدام باب السرايا وبقيت الفرجة عليه يومين ولما نظر أهالي البلد ما حصل بالشقي عبد المحسن لطيوا (سكنوا).

موقعة وادي بكـــا:

ولما بلغ إبراهيم باشا ما حصل في راشيا وحاصبيا جهز خمسة عشر ألف عسكري بمدافع وتوجه إلى راشيا فلاقوه الدروز إلى وادي بكا وصار الحرب بينه وبينهم فأعطت العساكر كسرة فلحقهم الدروز فلما عزفت العساكر أن الدروز صاروا في السهل ارتدوا عليهم وشغلوا عليهم ضرب المدافع والرصاص فانكسروا الدروز وراح منهم قتلى نحو خمسماية زلمة والباقي ولوا هاربين فلحقتهم العساكر تذبح فيهم إلى أن صاروا في جبل الشيخ فأعطى (إبراهيم باشا) يغما (السماح) على راشيا فدخلت العساكر وصارت تنهب فيها ونهبوا الكنائس وغالب النصارى معزلين (منازلهم) إلى الكنائس ونصب الوزير عرضيه عند مرج البير فحضروا النصارى شكوا له عن نهب أرزاقهم وعن نهب أواني الكنائس فأمر أن يعطى لهم ثلاثون ألف لأجل يفكوا أرزاقهم من العسكر والحال هذه الثلاثون ألفاً لا تطلع (تساوي) قيراط مما راح لهم.

حالة دروز اللجـــاه:

وأما من خصوص دروز اللجاه فبقي عليهم الوزرا حاجزين عنهم الماء وكل يومين ثلاثة يصير حرب لأجل الماء لأن داخل اللجاه نشفت المياه إلى (ذات) يوم من الأيام طلع من الدروز مايتين وخمسين زلمة ومعهم أربعماية جمل محملة قرب مرادهم يملوها من قرية خارج اللجاه خربانة فمع خروجهم من اللجاه مقدار ساعة صادف مرور قفطان أغاسي ومعه ألف خيال عرب هنادي فلما اجتمعوا بهم اشتغل الحرب بينهم ولما زرك العسكر للدروز دخل هولا إلى صيرتين للعجال عامرين عند الماء وحاصروا فيهم

وصاروا يجانكوا (يقاوموا) وكان توجه الخبر إلى شريف باشا لأنه كان بعيد نحو ساعة فحضر بالمدافع واشتغل ضرب المدافع حتى انهدت الصيرتان وتحاوط العسكر للدروز من كل جانب وذبحوهم على آخرهم وأخذوا الاربعماية جمل.

موقعة قفــرة:

وبعد كم يوم حضر الدروز إلى قرية اسمها قفرة عندها ماء وعلى الماء الفين عسكري كبسوهم الصبح فروحوا من العساكر ماية زلمة وملكوا الماء فوصل الخبر إلى مصطفى باشا فحضر بالمدافع وشغل عليهم الضرب فروّح منهم شرذمة وملك الماء وعلى هذا وقيس كل يومين ثلاثة يصير هذا الحال ويرموا ذواتهم على الهلاك لأجل الماء.

موقعة الديماس:

وأما مادة راشيا فكلما لها تجسمت والدروز تجمعوا من كل مكان وصار غيرة دين حتى حضر من جبل الشوف نحو ألف وخمسماية زلمة ونزلوا ربطوا وادي بكا بين ينطا وحلوة ومرادهم يربطوا الطريق من هذا الوجه ناحية الديماس ودروز حاصبيا وراشيا رابطين فوق راشيا طريق القلع وقصدوا ربط الجهات لكي يقاطعوا (وصول) الذخائر ويأخذوها ولا يصله ذخيرة ولا عسكر (للباشا) فلما بلغ ذلك إبراهيم باشا أرسل خبر إلى مصطفى باشا بأن يحضر من اللجاه إلى عنده في جملة عساكر ويحضر الذخيرة صحبته ويتوجه على طريق الديماس فتوجه مصطفى باشا إلى أن وصل إلى الديماس فبلغه أن الطريق مربوط فاستقام بالديماس نحو أربعة

أيام لأجل يدبر حاله فاستعوقه إبراهيم باشا فأحضر رجل اسمه نقولا ضاهر فهذا من راشيا (كان) يخدم مصالح حكام راشيا وصار له عند الوزير قبول وأمره أن يرسل يكشف على مصطفى باشا فأرسل مرسال فحضر المرسال وأخبره مصطفى باشا بالديماس فركب (حينئذ) إبراهيم باشا بالعساكر واجتمع بالدروز وصار الحرب بينه وبينهم ولما انتهى الحرب حرر نقولا ضاهر مكتوب إلى بحري بك كيف صارت الموقعة وكيف انتهت وهو:

البلاغ عن الموقعة:

إنه في صباح الثلثا أمرنا دولته (أن) نرسل نكاشف عن وصول مصطفى باشا إلى الديماس فتوجه المرسال فوجده في ذاك المحل فرجع صباح الاربعا قبل الشمس فحالاً دولته تحرك ركابه السعيد بجانب العساكر وتوجه إلى حلوة وحينما حل ركابه بهذا المحل أرسل خمسة خيالة بطلب مصطفى باشا وبعد توجُّه الخيالة ظهروا الاشقيا جمهور كبير مقدار ألف وخمسماية نفر في الوعرة التي فيما بين ينطا وحلوة لناحية الغرب وصار الحرب فيما بين العساكر المنصورة وبينهم مقدار أربعة ساعات وقتل من الاشقيا جانب ثم بعد ذلك نفذ مصطفى باشا من خلفهم وصاروا مواسطة ما بين العساكر الظافرة وصار الضرب فيهم (من كل جهة) وصارت فيهم ساعة تشيب الأطفال ولم خرج منهم مخبر قطعاً نعم في حين الحرب حضر مايتين نفر يتكاشفوا على الدروز فتلاحقتهم الخيل وقتل منهم مقدار النصف والباقي ناهوا في البراري ثم دولته رجع للأوردي المنصور بعد الغياب بساعة وعساكره بغاية السرور والابتهاج كاسبين غانمين وحضر مع العساكر ثلاث عشر نفر مرابيط فأمر دولته بأن أواجههم واستخبر منهم

عن الدروز الذين كانوا بالحرب قدر ايش كميتهم ومن أي البلاد ومن معهم من الكبار وتلك المرابيط من أي البلاد فقرروا لنا أن جميع الذين كانوا في الحرب من جبل الشوف وكبارهم الشيخ حسن جنبلاط الذي كان مقيم في الصالحية (قرب صيدا) وناصر الدين العماد ومحمد العيد وكان معهم دليل من راشيا وأما المايتين نفر الذين حضروا كاشفين عن جماعتهم هم من جهات الخارجة فهذا ما قرره المرابيط والمرابيط كلهم من الجبل (لبنان) وحررنا أساميهم فلان الفلاني ومن أي بلدة أما ناصر الدين العماد (فقد) قتل واحضر راسه إلى الأوردي المنصور. فهذا ما حصل بالاشقياء الخاصرين وإن شا الله تعالى مرة أخرى مثل هذه إن لم يهربوا لا يبقى لهم أثر. وكذلك أناس أخر من حاصبيا حضروا خبروا أن مدير ايالة صيدا حضر بجمهور من العساكر الظافرة إلى بلاد بشارة وحط بقرية يقال لها ميس وأرسل ماية خيال لأطراف مرج عيون لبلد يقال لها المطلة فتصادفوا هم وحسين أبو عساف ومعه شرذمة من الدروز وتضاربوا مع بعضهم وانكسر حسين أبو عساف وجماعته وضلوا هاربين إلى راشيا الفخار قرب حاصبيا وقتل من جماعته خمسة عشر نفر.

فوصلت هذه المكاتبة (إلى الشام) يوم الجمعة كان نهار عيد مولد يوحنا المعمدان (٢٤ حزيران) فيومها صار شنك بالمدافع واطمئنت الناس في خلوص (هذه) المادة.

رد السلاح لشبان لبنان:

بعده حضر أمر من محمد علي باشا إلى الأمير بشير أن النصارى جميعها التي في الجبل أنها تنقل سلاح وأرسل لهم من مصر عشرة آلاف

بارودة إلى عند الأمير بشير لكي يفرقها على الزلم ومن الجملة حضر من زحلة إلى الشام أربعماية زلمة أخذوا سلاح من قلعة الشام ألف وخمسماية بندقية فاستقاموا في الشام أربع خمسة أيام وأخذوا البارود وتوجهوا.

فرج في اللجـــاه:

ومن يم (جهة) مادة اللجاه بعد ما توجه إبراهيم باشا إلى مادة راشيا صار لهم فرصة دروز اللجاه أن عاودوا تقووا وصاروا يطلعوا ينهبوا من قرايا حوران ومن الجملة حضروا إلى قرية أزرع وقرية محجة ونهبوا جميع الحنطة نحو ألف وثمانماية غرارة وصاروا ينهبوا من كل دوار (مسافر) حوران.

تشديد عزم الدروز:

وأما دروز حاصبيا وراشيا والإقليم لما نظروا المذبحة التي صارت إلى دروز الشوف كلما لها تجسمت الأمور معهم واجتمعوا كلهم وتوجهوا عصيوا (تحصنوا) في قرية في جبل الشيخ اسمها شبعا لأن موقعها (حصين) معصاة كثير.

المرسوم باعطا السلاح للبنان:

فلما حضر الأمر من محمد علي إلى الأمير بشير بنقل السلاح إلى النصارى أصدر هذا أمراً وهذه صورة مضمونة إلى العساكر العيسوية القاطنين جبل لبنان بوجه العموم تحيطون علماً أنه بحيث تحقق حبكم وطاعتكم إلى هذه الدولة السعيدة فقد صدر لنا أمر كريم من سعادة ولي النعم الخديوي الأعظم مضمونه السامي بأنه أنعم عليكم بستة عشر ألف

بندقية مع جباخانة لأجل حفظ مالكم ولكي تفتخروا بها على أقرانكم طائفة الدروز الخائنة الكافرة الناكرين وجود الله وأنبيائه وإن شاء الله تعالى يكونوا غنيمة لكم هم وأملاكهم ونقلكم السلاح (يكون) دائماً سرمداً لكم وإلى أولاد أولادكم.

تأثير اللبنانيين في حرب الدروز

ولما حضر هذا الفرمان وتسلح الجبل ونزل الأمير خليل ابن الأمير بشير إلى عند إبراهيم باشا ومعه خمسة آلاف نفر فلما بلغ الدروز قدوم الأمير خليل وتسليح أهالي الجبل النصارى تجمعت اختياريتهم وتوجهوا لعند الأمير (بشير) تراموا عليه حتى أنه يأخذ لهم الأمان من إبراهيم باشا وأن يطلعوا (يكونوا) بكفالته وأنهم يطيعوا ويسلموا سلاحهم فقبلهم الأمير بشير وأعطاهم مكاتيب إلى ولده الأمير خليل (وحضروا إليه) وسلموه مكاتبة والده فقبلهم وأعرض عن ذلك إلى الوزير وطلب لهم الأمان فقبل وقال له مهما شئت افعل. فلما حضرت المكاتبة بالأمان قال لهم الأمير خليل روحوا لموا السلاح واحضروه ومهما صار لكم ضيم فأنا قائم به فوعدوه وتوجهوا.

معاكسة حسين أبو عساف:

وفي ليلة وصولهم صاروا يجمعوا السلاح ولأجل نحسهم حضر بوقتها لعندهم الشيخ حسين أبو عساف وهذا الآخر خرج من اللجاه ومعه شرذمة ونزل على بلاد المتاولة ومراده يهيجهم وكلما وصل إلى بلد يقطع قاطعيتها ومن الجملة وصل إلى صفد بلص اليهود باربعماية كيس ونهب بيت المتسلم والقاضي وهو خارج من صفد وقع في يده يهودي أمين عند اليهود (كان) يلم مال من اليهود لأجل المحتاجين شلحه فوجد معه أربعماية كيس فخلص من (هذه) الدورة وحضر ليلتها إلى اللجاه وهم عمالين يجمعوا السلاح فلما نظر (هذه) الحال قال لهم متى أعطيتوا السلاح يقتلكم جميعكم

ويسبي حريمكم وهذا ما له أمان وصار يكبر عليهم الوهم وأنه حاضرين عليه وزراً وصحبتها مايه وخمسين ألف عسكري وصاروا في حلب فقلبهم عن جمع السلاح وكانوا وعدوا الأمير أنهم ثاني يوم يحضروا كامل السلاح فلما (كان) ثاني يوم وما حضر السلاح أرسل لهم مرسال (يسألهم لسبب تأخرهم) فحرروا له الجواب أنهم لا يسلموا السلاح وليس عندهم إلا رصاص وبارود.

فلما بلغ الأمير خليل هذا الكلام اغتاظ قوي وقال توجهوا لعند أبي ولاعبوه وحضروا عندي ومكروا في. فمن ساعتها أعرض إلى الوزير ما حصل منهم وقال له هؤلاء الأشقياء ما دواهم إلا السيف ونهض ومشى عليهم وسبق العرضي بأربع ساعات وعلق الحرب بينه وبينهم فبعد أربع ساعات نفد عليهم إبراهيم باشا من جهة ومصطفى باشا من جهة ومدير ايالة صيدا من جهة فتحاوطوهم من أربع جهات وبقي الحرب من يوم الأحد ضحى إلى ثاني يوم الساعة الأربعة فراح من الدروز نحو أربعماية زلمة واحتاطوهم من كل جانب وما بقي لهم خلاص فصاروا يصرخوا من وراء المتاريس يا أمير خليل نحن في عرضك وعرض أبوك الأمان الأمان وصاروا يرموا سلاحهم قدام العساكر.

الأمـــان والهدنة:

فلما نظر الأمير خليل رمي السلاح توجه لعند إبراهيم باشا وقال له أفندم الأمان هؤلاء حرام قتالهم وسلاحهم رموه طالبين الأمان فبوقتها أعطاهم الأمان وولج الأمير خليل بلم سلاحهم وبطل الحرب عنهم.

حرب العريـــان:

ولما نظر شبلي العريان هذا الحال هرب ومعه نحو ثلثماية زلمة فوصل إلى قرية اسمها جبى فدخل إلى القرية وصار ينهبها فركب واحد خيال من أهالي جبى غار وأخبر سليمان باشا الذي (كان) على اللجاه فأخذ (هذا) مدافع وعساكر ولاقى له في نفدة العريان وجماعته فاشتعل ضرب المدافع عليهم وراح (هلك) جميع الزلم وبقي شبلي العريان والخيالة الذي معه نحو ثلاثين أربعين خيال ما خلصوا إلا من كدد الخيل فما وصلوهم المدافع ودخلوا اللجاه إلى عند رفاقهم.

تسليم السلاح:

فبعده إبراهيم باشا توجه إلى اللجاه وبقي الأمير خليل في راشيا يلم السلاح وينظم تلك البلاد فلما وصل إبراهيم باشا وحط على اللجاه بات تلك الليلة وثاني الأيام أرسل أحضر رجل نصراني اسمه عيسى الفلالحة شيخ قرية يصير (من طائفة الروم الكاثوليك) فقال له ادخل إلى عند الدروز وقل لهم يقول لكم أفندينا إن كان تطيعوا وتسلموا سلاحكم وتعطوا نظام يعطيكم أمان الله وعفا الله عما مضى وعليكم المشورة ثلاثة أيام وإن كان لم تطيعوا أمان ما عليكم لا قبل ولا بعد وتهيؤوا للحرب بعد ثلاثة أيام فأخذ الأمر الشيخ عيسى ودخل إلى اللجاه فلما وصل إلى عندهم لاقوه بالترحيب فأعرض المكاتبة عليهم فعملوا الشور بأنه ما بقي لهم ظهر فكانوا مطمأنين (واثقين) في دروز الجهات فجميعهم تشتتوا وطلبوا الأمان وفي أثناء دخول الشيخ عيسى عندهم حضر لهم مكاتبة من طرف الأمير بشير (بهذا الشأن) فساعتها طلبوا الأمان.

الاستسلام:

وطلع منهم أربعة مشايخ بسلاحهم واضعين المحارم في رقابهم فحالاً لما واجهوا إبراهيم باشا ارموا سلاحهم قدامه ووقعوا على أقدامه طالبين الأمان فحالاً أعطاهم الأمان وقال لهم بدي السلاح جميعه الذي راح من العسكر وبدي سلاحكم فقالوا حاضر ابعث من عندك من يجيب السلاح فوجه يومها ضابط اسمه عجاج آغا فقال لهم وجهوا السلاح إلى أفنديكم شريف باشا فدخل عجاج آغا إلى عندهم يجيب السلاح فحضر الخبر يومها إلى الشام غرة جمادى الثانية فما كانت الناس تصدق فثاني يوم قوي الخبر وحضر من اللجاه الصبح أربعة الايات خيالة فلما نظرت الناس (هذا) صدقت نصف واحدة ويومها العصر حضر سليمان الفرنساوي وضربوا له مدافع من القلعة فالنصارى صدقت مليح والإسلام يقولوا كذب فلو كان صحيح كان حضر إبراهيم باشا (لأنه) بقي باشا مقيم في اللجاه لأجل توريد السلاح وكل يوم يورد له سلاح فبعد مجي الالايات الخيالة بثمانية أيام حضر يوم الأحد من اللجاه خمسة الايات قرابة والجميع نزلوا في القابون.

بشارة السلام التام:

وليلة الخميس الساعة أربعة من الليل حضر إبراهيم باشا ونزل في بيت علي آغا خزينة كاتبي وصباح الخميس طلوع الفجر ضربوا مدافع السلام من القلعة لأجل حضوره فباقي الناس صدقوا (حينئذ) بخلاص مادة اللجاه ومشيت الطرقات وخرجت الدروز من اللجاه إلى قراياهم.

محاولة شبلي العريان:

ومن خصوص شبلي العريان (فإنه) لما نظر هذه الحال أرسل ترامى على الوزير (يطلب) أنه يطلع إلى عنده بالأمان وأن مرامه يخدم عنده فأرسل له الوزير بيلوردي الأمان وعرفه أن يتوجه إلى طرف الأمير خليل لراشيا يعطيه سلاحه ويلزم بيته فهذا لما نظر الحال توقع على هذه الصورة ما أعجبه لأنه متخوف من التوجه إلى راشيا من الأمير سعد الدين لئلا يقتله لكونه قتل أخو الأمير بوقت مادة (موقعة) راشيا فالتفت إلى يحيى الحمدان ومراده يفسد الذي حصل ويرجعه إلى العصاوة لأن شبلي رجل من الأشرار فما طاوعه يحيى الحمدان وقال له يا شبلي الفلاحين لم عادت لا في شأني ولا في شأنك وأكثر من الذي جرى ما بقي يجري وهذه دولة سيفها طويل. فقال له أنا خائف من روحتي إلى راشيا بعد ما أعطي سلاحي يقتلني الأمير سعد الدين. فقال له دبر حالك.

يأس العريـــان:

فساعتها ركب شبلي ونادى على الدروز الذي له خاطر يتبعني فساعتها لحقه نحو خمسماية زلمه من الدروز الذين كانوا نظام وخانوا ودخلوا إلى اللجاه يوم أن قتل محمد باشا ومنهم ناس ينسبوه وخرجوا من اللجاه وهم عاصين وطرودية (فرار) وتوجهوا إلى الديماس فباتوا فيها.

شدة الضيق على العريان:

وثاني يوم حضر الخبر إلى إبراهيم باشا للشام فكان إبراهيم باشا نازل في بيت علي آغا خزينة كاتبي يومين وتوجه إلى الصالحية نزل في قصر القباقيبي فيومها بلغه خبر شبلي (العريان) فركب (في) ساعتها وتوجه

لحقه وأرسل خبر إلى العساكر التي في القابون تطلع إلى بعلبك وتلاقي إلى شبلي وأرسل خبر إلى المدير (أو المديرج) وعسكر النابلسية يلاقوا له من جهة والأمير خليل وعسكر الجبل من جهة والارناؤوط يلاقوا له من جهة (وكان) شبلي (إذا) سمع أن العساكر في الجهة الفلانية ويهرب إلى غيرها يجتمع فيه عساكر غير جهة ويصير الحرب بينه وبينهم ولما ينظر أنه رايح ينزك (يضيق عليه) يقحص بفرسه ويهرب من بين العساكر لأن فرسه موصوفة (مشهورة) كأنا طير وهو فارس موصوف في الحروب وصاحب تدبير فبقيت العساكر لاحقينه ولم كانوا يحوقوا عليه (يقبضوا عليه) نحو ثمانية أيام وبعد ثمانية أيام حشروه (أحاطوا به) في قلعة جندل بالقرب من قطنا فهرب من العساكر وتوجه إلى عيحا التي بقرب راشيا.

تسليم العريـــان:

فكان بوقتها نقولا ضاهر موجود في القرية فنزل شبلي بعيد عن القرية (مسافة مشي) نصف ساعة وأرسل أخوه لعند نقولا ضاهر وكتب له إنك أوضع أخي عندك رهينة واطلع إلى عندي واجهني فوصل أخو شبلي إلى عند نقولا ضاهر قعد رهينة وطلع نقولا ضاهر إلى عند شبلي فقال له شبلي يا نقولا أنا رجل مالي عاصي (لست عاصياً) ولكن بدي أمان تام فكان نقولا ضاهر ممون من الحكم (معه تعليمات) فأخذه نقولا ضاهر إلى عند الأمير مسعود ابن الأمير خليل وقال له (شبلي) يا أمير أنا واقع في عرض جدك أبو سعدى فقال له وصلت.

فأخذه الأمير مسعود ونقولا ضاهر وحضروا فيه لعند إبراهيم باشا كأنه وكان بوقتها الوزير في قرية قطنا فدخل شبلي على إبراهيم باشا كأنه

الأسد وعمل تمني وتكتف وطلب العفو فقال له إبراهيم باشا من أنت ــ قال له ــ أفندم عبدكم شبلي العريان ــ فقال له (إبراهيم باشا) ايش هذه الأفعال ــ فقال له العبد يخطي والسيد يعفي ــ فقال له تبت ما عدت تعصي ــ فقال له أفندم أنا خدام نعل خيلك ــ فقال له طيب خاطرك روح استريح.

فتوجه (شبلي) إلى غير محل ونام وإبراهيم باشا بعد ساعة زمان ركب وقال صحوا شبلي وخلوه يلحقني للشام ولا تزعجوه فركب إبراهيم باشا وتوجه على الشام فصحوا شبلي ولما استفاق ونظر إبراهيم باشا توجه ركب وغار فحصله في سهلة الجديدة ولما وصل لعنده نزل ومشي في ركابه فقال له (إبراهيم باشا) يا شبلي يا شيخ لاي سبب ماشي فكان جوابه أفندم (ناذر على حالي إني متى حزمت الأمان أمشي في ركابك وأكون كأحد سياسك).

فقال له (إبراهيم باشا) اركب (فركب) ثم قال له أين سلاحك ــ قال له مع نقولا ضاهر ــ فقال له (إبراهيم باشا) تقلد بسلاحك واحمل مزراقك وانزل العب قدامي في هذا السهل فعمل تمني ونزل وفعل أفعال كما أفعال عنتر وكان يهجم على الخيل ويشقهم ميامن مياسر فانطرب إبراهيم باشا منه وحبه كثيراً.

الأمان التام:

فشبلي من زكاوة عقله قصد يمتحن الوزير فلما وصلوا لقرب الجديدة عمل تمني وقال للوزير أفندم عبدكم لي مصلحة في هذه القرية ومرادي في هذه الليلة أقضيها وغداً الصبح أنزل للشام وأتشرف بلثم أذيالك فقال له

الوزير ما في باس واجهني في قصر القباقيبي بالصالحية فعمل تمني وتوجه على الجديدة لأنه خطر في باله فكر أنه إذا استأذنت منه وأعطاني الاذن يكون أركن من طرفي (وثق بي) وصفح خاطره صحيح وإن ما ارتضى (بالسماح) يكون مراده ينقض أمانه فبوقتها بفور في فرسي وبرجع للعصاوة فلما نظر ان خاطره صافح له (تماماً) بات تلك الليلة في الجديدة والصبح ركب وتوجه وعمل دربه على الصالحية وحول عند الوزير فأظهر له الوزير كل بشاشة وقال له في أي محل لك خاطر تنزل. فقال له في بيت عبدكم بحري بك فاذن له بالتوجه إلى دار المومى إليه فركب فرسه ونزل على الشام متقلد بسلاحه ورمحه على كتفه وبقي متوجه إلى دار بحري بك والناس واقفين (في الطريق) على الصفين (على الجانبين) ووراه خلق كثير وأغلب الناس ما تفرجوا عليه (لكثرتهم) وراقت الأحوال وإنما الغلا كثير والقمح ينباع في بيدره الكيلة بثمانية عشر قرش ووقوف حال والصناعية أغلبهم يبيعوا خبز وخضر من قلة السبب.

إبراهيم باشا في صيدنايا

وبعده استقام إبراهيم باشا بالشام كم يوم وأمر على لم السلاح من الإسلام والنصارى وصار تقريط (تضيق) كلي وصار جمع السلاح من القرايا ومن حوران ومن كامل البلاد وبعده توجه إبراهيم باشا لناحية شمال وليلتها بات في منين على العين وثاني يوم توجه على صيدنايا وطلع إلى دير السيدة العامر واستقام نحو ثلاث ساعات في قصر البطرك وحضرت الرئيسة قبلت اتكه وأخذ وأعطى معها في الكلام بكل بشاشة وسألها على الراهبات وكم عدتها وبأثناء الخطاب طلبت منه انعام (رخصة) أن يتعمر في الدير كم قوضه لأجل سكن الراهبات فقال لها حرري عرض (حال بذلك) وارسليه لي إلى يبرود وهناك بعلم عليه وركب (في) ساعتها وبات في (قرية) الثواني وثاني يوم توجه إلى يبرود واستقام كم يوم.

فبعدما توجه إبراهيم باشا حررت الرئيسة عرض حال واستدعت فيه بعمار خمسة عشر أوضة وأرسلته مع واحد حمصي اسمه أبو الياس المشاطي إلى الحكيم باشي فقال له (هذا) أنت روح إلى شغلك ومتى أنظر أفندينا مبسوط بعرضه عليه وبرسله للشام مشروح عليه وبعده الحكيم اعرض العرضحال على الوزير فأرسله إلى أبوه محمد علي باشا فشرح عليه سعادة المشار إليه طبق المرغوب وأرسله إلى متسلم الشام فلما وصل إلى متسلم الشام علم عليه وأرسله إلى وكيل البطرك.

ألعاب البلهوان:

وفي سنة ١٨٣٨ مسيحية حضر إلى الشام في الصيف أربعة خمسة أنفار افرنج بلهوانية وأخذوا جنينة الأفندي التي في باب توما استأجروها (مدة) ثلاثة أشهر وعملوا في دايرها ثلاثة قاطات (طبقات) خشب لأجل جلوس الناس وتركوا الوسط فاضي لأجل اللعب وصاروا يلعبوا بالجمعة يومين لأجل الرجال ويوم لأجل الحريم ويوم الذي يلعبوا يلصقوا أوراق في جميع أسواق البلد في المصلبات في صفة اللعب الذي مرادهم يلعبوه ويكتبوا ورقة صغيرة يلصقوها جانب التصاوير مكتوب فيها بخط مشق اعلام إلى أهالي دمشق أن الفرجة على البلهوان في جنينة الأفندي الساعة بالثمانية من النهار الجالس يعطي خمسة غروش والواقف غرشين فتتوجه الناس تتفرج وجمعوا من البلد مبلغ ولكن اللعب الذي يلعبوه ونظراً لصورة اللعب الذي مصور في الورقة التي يلصقوها في شوارع البلد شي مثل السيما لأن البلهوان منهم يقف على ظهر الحصان رجله الواحدة على ظهر الحصان والثانية رافعها إلى الخلا ويديه واحدة ماسك فيها رمح والثانية سيف والحصان عمال يركد فيه بالساحة ويفتل مثل الدولاب.

لعبة ثانية: يحضروا اثنين يحملوا طرابيز كل واحد من ناح على رؤوسهم ويكون وسط الطرابيزا كاس مليان عرق فيفز البلهوان يقلب ثقله من فوق الطرابيزا يأخذ كأس العرق يشربه ويرجعه إلى الطرابيزا.

لعبة ثالثة: يجيب البلهوان راسين خيل ويوضع كل رجل من رجليه على حصان ويركدوا راسين الخيل سوا بجانب بعضهم ورجليه عليهم وهم راكضين يصير يقوص نار دائمة يدك ويفرغ.

لعبة رابعة: يجيب جسر طوله نحو عشرة أذرع وغلظه مثل مطواية الحائك يرفعه أول الحال يوقفه على صدره والثاني يرفعه يوقفه على سنه ويصير يصفق في يديه.

وينصب حبل من جلد ويلعب عليه أشكال وألوان وعلى الخيل يلعب أشكال وألوان حتى شعَّبت عقول الناس ولكن جميع طوائف البلد تفرجت الذي يكون حاله مقتدر لأن الفرجة غالية كما شرحنا ما عدا طائفة الروم ما أحد تفرج عنهم صار عليهم توصي في الكنيسة أولاً من غلاوة الفرجة ثانياً على وصف الفرجة لئلا يكون شي مشبوه وتشعَّبت (تحيرت) عقول الناس.

العودة إلى النظام:

وبعده حضر إبراهيم باشا للشام ونزل في بيت محمد آغا كلار أميني بسوق ساروجا قبل عيد الضحية بخمسة عشر يوماً سنة ١٢٥٤ (هجرية) وقبل العيد بخمسة أيام طلب من البلد نظام وكذلك من ضيع الشام من المباية واحد وبعد ما كانت الناس ركنت (ارتاحت) من مادة اللجاه عاودت الشام انخبطت وكذلك الضيع ورجع وقوف الحال أكثر من الأول وقضوا الناس عيد الضحية مثل الزفت وتعطلت جميع الأسباب وأيضاً طلب من أهالي حوران نظام لأن في السابق أعطاهم أمان بخصوص النظام أنه ما ياخذ منهم لسبب أنهم مطلوب منهم تقيم ذخاير وجمال لمشال الذخاير وعليهم فلاحة وزراعة وطلب منهم كل ضيعة نفر واحد.

العودة إلى العصيان:

فلما صدر الأمر لهم (بذلك) تركوا ضيعهم وأشغالهم ودخلوا عصيوا (تحصنوا) في اللجاه فكان إبراهيم باشا سافر من الشام إلى حماه فبهذا الداعي انقطع ورود القمح من حوران فكانت كيلة القمح تسوى سبعة عشر غرش في برهة سبعة ثمانية أيام صارت سبعة وعشرين وتعطل حال الشام كلياً فتوجه لهم مراسيم من الحكم أن يرجعوا إلى قراياهم وعليهم الأمان ما أحد يأخذ منهم نظام فجاوبوا أنهم لا يرجعوا حتى يحضر لهم أمان (من) إبراهيم باشا ويتوجه إلى عندهم علي آغا خزينة كاتب وشمدين آغا وابن سعد الدين (شهاب) يتكفلوا لهم مع أمان إبراهيم باشا فشريف باشا أعرض إلى إبراهيم باشا (بهذا) ففي الحال حضر لهم بيلوردي أمان برفع النظام وأنهم ينقلوا سلاح وترتفع عنهم البدع الجديدة ومثل ما يريدوا يحصل لهم. فلما حضر المرسوم من إبراهيم باشا إلى شريف باشا أرسله (هذا) لهم صحبة علي آغا خزينة كاتبي وشمدين آغا والأمير خليل سعد الدين فوصلوا لهم المرسوم وبقيوا غايبين ثمانية أيام فطمعوا الفلاحين وصاروا يتعنتوا ويقولوا إن عساكر لا يطلع لعندهم ولا متسلم ولا يتعمر شونة (قشلة) في اللجاه (حوران) وصاروا يتكلموا مثلما يريدوا فلما سمعوا تعنتهم ارتجعوا من دون قضي غرض وبعده كاتبوهم علماء البلد وضمنوا لهم (مطاليبهم) فقبلوا مكاتيبهم ورجعوا إلى ضيعهم ونزلوا المشايخ إلى الحكم ولبسوا وطلعوا إلى حوران وانصرفت المادة.

التأهب إلى حرب الدولة:

ثم بعده حضرت أخبار إلى الشام على أن السلطان محمود عامل سفر (بعثة عسكرية) كبير على إبراهيم باشا والعساكر قادمة على طريق حلب

من درب ارفا على أنه مراده استخلاص بلاد العرب من يد إبراهيم باشا فكان يومها إبراهيم باشا في حماه فحالا المشار إليه حرر أوامر بطلب جميع العساكر أنها تتوجه إلى حلب وعمل إقامته هناك وحرر أمر إلى الأمير بشير حاكم جبل الشوف أن يجمع عساكر من أهالي الجبل يرسلها إلى الشام لأجل المحافظة فجمع الأمير المومى إليه نحو ثلاثة آلاف نفر وتوجه معهم ابنه الأمير خليل إلى الشام واستقام في الدوالك وإبراهيم باشا صارت تورد عليه الذخاير والجباخانات والأموال من مصر في البحر إلى السويدية على حلب والنصارى في الشام انوهموا وسافر كم عيلة من المنظورين وكل يوم تحضر أخبار شكل وتربطت الدروب وتزايد وقوف الحال.

أخبار الحرب:

ثم بعده في نصف حزيران سنة ١٨٣٩ حضر تحرير من ابن قنصل الإنكليز المقيم في الشام عما توقع بين عساكر مصر وعساكر الاستانة وهذه صورته: إنه صار هجوم الأوردي المنصور السر عسكري يوم الاثنين الساعة واحدة ونصف من النهار من طرف براجيك من نواحي ماء الفرات المسمى مراد واستقام الحرب ساعتين ونصف وانتصر ولي النعم وهربوا جماعة الأوردي العثماني ومرزا باشا توفي وسعد الله باشا أيضاً صابهم طوب وحافظ باشا هرب مع أورديه والعساكر عمالين يحضروا وصاروا في تل باشر قادمين لجلب ألفين نفر حضر بعضهم مبشر بهذا الانتصار والباقي قادمين وأحضروا صحبتهم أمر كريم أن الذي يتقيد (بالنظام) بمعية قرا بيرقدار يتقيد والذي لم يريد يتقيد على كيفه وثمانية وزر يخرجوا وأخذوا

(غنيمة) طوب عد ١٢٠٠ وجباخانة عظيمة وذخاير كلية وجميع الخيام تركوهم وهربوا.

هذه صحة الخبرية على موجب تقرير العساكر وإلى وقت تاريخه صار نحوماية خيال (منهم) الجميع هذا تقريرهم.

حين طمع محمد علي في ممتلكات السلطة العثمانية بالشام أنفذه مع جيش مصري قوي ففتح فلسطين والشام وعبر جبال طوروس حتى وصل إلى كوتاهية (١٨٣٢-١٨٣٣)، عُقدت معاهدة كوتاهية بين الباب العالي ومحمد علي، نال فيها الأخير حكم بلاد الشام وأضنة، ومنح إبراهيم لقب محصل أضنة، وبذلك دخلت الشام في حكم الدولة المصرية، وصار إبراهيم باشا حاكماً عاماً للبلاد السورية معيناً من قبل والده، إضافة إلى تجديد ولايته على جدة من قبل السلطان.

انصرف إبراهيم باشا إلى تنظيم البلاد ساعياً إلى تجديد أحوالها وتحديثها في جميع المجالات الإدارية والاقتصادية والمالية وقامت سياسته على مبدأ المساواة في الدين والمساواة أمام القانون كما حاول أن يدير بلاد الشام على أنها قطر واحد يسكنه شعب واحد، فاصطدم بالفروق والخلافات القائمة بين الطوائف، وتفاقم الخطب حين عمدت بريطانية وروسية والدولة العثمانية إلى تغذية القلق والاستياء بالدس وتحريض الناس للثورة على إبراهيم باشا. وخاصة بعد توقيع معاهدة «هنكار أسكله سي» الدفاعية بين الدولة العثمانية وروسية (١٨٣٣) لوقف الزحف المصري، وكان من نتيجة ذلك حدوث الفتن والثورات على حكم إبراهيم باشا في بلاد الشام ولاسيما في لبنان، ومن أسباب موقف بلاد الشام هذا من إبراهيم باشا ــ إضافة إلى

التدخل الأجنبي ــ ما قام به من احتكار تجارة الحرير وأخذ ضريبة الرؤوس (الفردة) من الرجال كافة على اختلاف مذاهبهم، وكانت ضريبة الرؤوس سابقاً لا تؤخذ إلا من أهل الذمة واضطر إبراهيم باشا إلى قمع هذه الحركات بشدة ومصادرة السلاح من الأهالي في جميع أنحاء البلاد، وقد صوِّر جمع السلاح مقدمة لتجريدهم من القوة أو لتجنيدهم وانتقاص حقوقهم، وتأكد للدولة العثمانية أن اضطراب الأحوال ضايق حكومة إبراهيم باشا وأرهق قواها، فحشد السلطان محمود قواته من جديد واستأنف الحرب على إبراهيم باشا لاسترداد بلاد الشام بتحريض من بريطانيا، ووقعت معركة فاصلة عند نزيب نصيبين الواقعة قرب عينتاب، (وليست نصيبين الحالية تجاه القامشلي) في ١٨٣٩م حقق فيها إبراهيم باشا نصراً مبيناً على الجيش العثماني الذي كان يقوده حافظ باشا.

انحاز فوزي باشا قائد الأسطول إلى محمد علي، ولكن الموقف تبدل بسبب تدخل الدول الأوربية بريطانية وروسية وبروسيا والنمسا التي عقدت فيما بينها معاهدة لندن (تموز ١٨٤٠م) وقضت بإجبار محمد علي على سحب قواته من بلاد الشام حتى عكا. والاكتفاء بولاية مصر وراثية لــه ولأولاده من بعده، ولما كان محمد علي يطمع في مساعدة فرنسة له، فقد رفض الانصياع للمعاهدة، لكن فرنسة خذلته، وحاصرت أساطيل الحلفاء شواطئ الشام ومصر، ووجد إبراهيم باشا نفسه في موقف حرج بين جيوش الحلفاء التي نزلت البر وأهالي لبنان الذين أثيروا عليه، واستسلم الأمير بشير الشهابي حليف محمد علي للحلفاء في صيدا التي استولى عليها أمير البحر الإنكليزي نابيير **Napier** كما استولى على بيروت وعكا

وصيداء ويافا فاضطر محمد علي، في مفاوضاته مع نابيير، إلى قبول التخلي عن بلاد الشام في تشرين الثاني ١٨٤٠م وغادر إبراهيم باشا دمشق مع جيوشه في ٢٩ كانون الأول ١٨٤٠م مرتداً إلى مصر عن طريق غزة وبعث شطراً منها عن طريق العقبة.

عين إبراهيم باشا ١٨٤٨ نائبا عن أبيه في حكم مصر، وكان أبوه إذ ذاك لا يزال حيا، إلا أنه كان قد ضعفت قواه العقلية وأصبح لا يصلح للولاية. ولكنه توفي قبل والده في نوفمبر من العام نفسه.

البلاغ الرسمي:

وكذلك حضر أمر إلى شريف باشا وهذه صورته نبدي لجنابكم أنه نهار الاثنين الواقع في ١٣ سنة ١٢٥٥ توجهنا بالعساكر المظفرة المصرية على أوردي اسلامبول وكان وصولنا الساعة واحدة من النهار المذكور وبعد محاربتهم ساعتين تشتت اوردي اسلامبول وتركوا مدافعهم وبواريدهم وخيامهم وأركنوا إلى الفرار وبمنه تعالى قد رفعت هذه الغائلة فبناءً على ذلك اقتضى افادة سعادتكم بذلك لكي بوصوله تجروا واجبات الأفراح والسرور وتعلنوا ذلك إلى كافة المديرين والمتسلمين بايالة عربستان حكمدارية سعادتكم بناء أن تنضرب المدافع اعلانا لمراسيم السرور وتشتغل الأهالي بإجراء مقتضيات الأفراح والحبور يكون (معلوم) جنابكم ذلك في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٥٥.

الزينـــة:

فلما أن سعادة شريف باشا تلى الأمر السر عسكري فحالا أمر بضرب المدافع واستقام الشنك إلى الساعة أربعة من الليل وثاني يوم طلع منادي أن يصير زينة أربعة وعشرين ساعة ليل مع نهار من يوم السبت عشية إلى نهار الأحد المساء خصوصاً الشعلة التي صارت قدام بيت بحري بك وقدام حافظ بك شي زائد الحد.

بلاغ شريف باشا:

وهذه صورة الأوامر التي حررها شريف إلى (رجال) الحكمدارية طبق الأمر الصادر له: إنه بتاريخه تشرفنا بأمر عالي من المراحم السنية السر عسكرية في ١٥ ربيع أول سنة ١٢٥٥ يتضمن منطوقه السامي أنه نهار الاثنين الساعة واحدة من النهار تحركت العساكر المنصورة المصرية بالعز والاقبال وهجمت على الأوردي الاسلامبولي وصارت موقعة استقامت ساعتين وبحمده تعالى بهمة صاحب السطوة القاهرة قد ظفرت العساكر المنصورة المصرية على عساكر الاستانة وانهزمت منهم

بالبراري والقفار وخيامهم ومهماتهم صارت أسيرة لسيف ولي النعم والذي لحقوه منهم أحضروه إلى حلب وبعونة تعالى قد شرف ولي النعم بالعز والإقبال إلى نزب وقريباً يصلكم بشارة تشريف ركابه بالعز والاقبال إلى قونيه وصدر أمره الكريم أن بوصول أمره يصير طلق المدافع ويحصل السرور والابتهاج لكافة الأهالي من الخاص والعام وأن يصير فتح الأسواق ليلة واحدة وتوقد باليل الشموع بالزينة حسب منطوق الأمر الكريم. اقتضى تحرير هذا لتكونوا مشمولين بهذه المسرة مع كافة الأهالي بطرفكم ويحصل السرور.

تشتيت العصابات:

ثم صارت تحضر الأخبار من التجار في هذا الحال لكن الطرقات كلها مربطة من كل وجه ومن الجملة في (كان) واحد درزي ساكن بالميدان اسمه الشيخ حسين جنبلاط فهذا لما نظر شبلي العريان من بعد عصاوته صار دالي باش قدم جملة عروضة للحكم لكي يصير ضابط لكون المذكور ابن ناس (أشراف من الشوف) و(صار) شحاد للغاية فالحكم لم قبل يفتح عليه هذا الباب ولم يجب لمسؤوله فالمذكور عمل له عزوة وتوجه إلى ناحية سمعسع وصار يخربط ويقتل وينهب حتى أنه حضر للميدان (بدمشق) ونهب سبعين جمل وفاز فيهم.

وبوقتها كان موجود في الشام مع الأمير خليل (شهاب) رجل متوالي اسمه الشيخ حسين السلمان حاكم في بلاد المتاولة في بلاد بشارة من تحت يد الأمير بشير فأرسل معه الأمير خليل كم زلمه من أهالي الجبل وحشروه (حسين جنبلاط) في وعرة زاكية حوال (جوار) سعسع وصار الحرب فيما بينهم فقتل من جماعته أربعة أنفار وانمسك هو مع أحد عشر زلمه وأحضروهم إلى الشام مكتوفين وكان دخولهم نهار الأربعا في ٢٨ حزيران سنة ١٨٣٩ فلما وصلوا إلى السرايا قطعوا رؤوسهم أربعة من باب السرايا وأربعة في الشاغور وأربعة في الميدان.

الأمير جـــواد:

بعده (كان) رجل اسمه الأمير جواد فهذا من أمراء الحرفوش حكام بلاد بعلبك فحينما أخذ البلاد إبراهيم باشا كان من قطاع الطريق فطمنه وعمله

متسلم على بعلبك ولكونه مجنون وما كان يتوافق هو وزراع جبل الدروز (لبنان) فعزلوه من المتسلمية ووقفوا ابن عمه الأمير حمد والمذكور عقله رازن (رصين) وصاحب إدارة في الأحكام. والأمير جواد سكن في يبرود وأمر له إبراهيم باشا في كل شهر خرجية لأجل مصروفه ١٢٥٠ قرش وصار يقبضها وهو مقيم في بيته وهذا الانعام (صار له) لكونه أنه فقير وابن ناس (أشراف) وبعده صدر أمر أن تتوقف صرفيات الكتاب والمتسلمين والنظار لكون كان حاصل حرب مع السلطان والميري (مالية الحكومة) متضايق فاستقاموا جمع الخدام مقدار ثمانية أشهر موقوف أمر الصرف (لهم) ولكون (الأمير) المذكور خيّر وطفران ويده قصرت التزم أن يعمل له عزوة وحرك معه أناس من أولاد عمه الأمير خنجر والأمير محمد وصار يقطع الطرقات وصار له سمعة كلية (كبيرة) وبعده حرر تحرير إلى واحد اسمه عبد القادر آغا خطاب بأن يحضر له مرسوم الأمان فأعرض إلى الوزير وأخرج له (الوزير) مرسوم الأمان ثم كاتب (جواد) الأمير خليل (شهاب) أن يحضر إلى طرفه لدمر لأجل يدخل معه لمواجهة الوزير وخلاصة الأمر حضر إلى الشام وواجه شريف باشا واستقام كم يوم بالشام وصار يعين عنده خيالة وشريف باشا اعرض إلى إبراهيم باشا لأجل يعمله سر سواري وحينما كان يخربط قتل واحد كردي تاجر غنم وأخذ منه جملة دراهم ودفتره والكردي المذكور ينسب أحمد آغا اليوسف(١) فحضر شمدين آغا وأحمد آغا اليوسف اشتكوا عليه إلى شريف باحضار الدفتر فجاوب بأنه ما هو الذي قتل الكردي وإنما هم ناس من بيت نون والآن لم معروف لهم مقر وطلب مهلة كم يوم لأجل يستعلم في أي محل مقيمين ليتوجه

ويطلب منهم الدفتر فشريف باشا لم قبل بل زركه شويه ومن حيث أنه رجل عزيز (النفس) وأشبه ركب وخرج خارج البلد وبعث خبر إلى أحمد آغا اليوسف أنه إذا كان له عنده حق يطلع لعنده لأجل يتصارف هو واياه و(كان) موجود بين الأكراد الذين بالصالحية رجل يسمى عجاج آغا كان بوقتها متسلم جبل دروز حوران والمذكور من الرجال المشهود لهم بالفروسية فاستأذن من الوزير وأخذ جماعته وتوجه إلى ناحية النبك فبلغه أن الأمير جواد في دير عطية فلما بلغ الأمير جواد (حضوره) ركب وخرج من القرية وصار الحرب فيما بينهم فقتل عجاج آغا والأمير جواد انجرح وكبر الوهم على الأمير جواد لكون أحمد آغا اليوسف يخص الأمير بشير فتوجه إلى عند الأمير بشير فقبل وصوله أرسل (الأمير) ناس ربطوا له ومسكوه عند جسر القاضي كتفوه وأحضروه برانية للشام فلما وصل أمر شريف باشا بقطع راسه وهكذا صار.

السلطان الجديد عبد المجيد:

وفي أثناء ذلك حضر أمر من محمد علي باشا أن السلطان محمود توفي وحضر له تحرير من الصدر الأعظم وهذه صورته أنه ورد بالقائمة الواردة من سعادة الصدر الأعظم قد توضح انتقال السلطان محمود إلى دار البقا وجلوس حضرة أفندينا صاحب الشوكة ولده عبد المجيد خان وأنه عند جلوسه تفضل قائلاً إن الشيء الذي كان واقع بين المرحوم والدي وحضرة والي مصر يقتضي أن يوضع بحكم مضى ما مضى وأنه لا يريد الحرب وأنه سيرسل نيشان إلى حضرة الوالي المشار إليه. وبحسب ذلك قد ضربت المدافع بهذا الطرف ثلاثة أيام كل يوم ثلاثة مرار إعلاناً بجلوس الميمون

وبطرفكم يقتضي بوصول أمرنا هذا تنبهوا على المحلات المقتضية بضرب المدافع ثلاث مرات كل يوم ثلاثة أيام إعلاناً إلى المسرات المذكورة ويقتضي أن تنبهوا على الأفندية والخطبا أن يقروا الخطبة على المنابر والجوامع باسم السلطان عبد المجيد خان كما هو لازم.

التوفيق بتسليم العمارة:

ثم بعده صارت ترد أخبار من عند إبراهيم باشا أنه بعد ما كسر الأوردي السلطاني بقي ساير إلى مرعش واستقام في مرعش وملكها وكذلك ملك ارفا زيادة عما كان في يده قبلاً وكان السلطان محمود قبل ما توفي أرسل عمارة عظيمة في البحر لأجل محاربة محمد علي فهذه قبل وصولها إلى الاسكندرية لأجل توفيق محمد علي باشا كان توفي السلطان محمود وجلس السلطان عبد المجيد ونصب وزير صدارة واحد دشمان القبطان باشي(١) ومن خوفه من الوزير المذكور لئلا يسعى في ضرره ساق العمارة إلى عند محمد علي باشا ووقع عليه فاستقبله محمد علي وزبط العمارة جميعها وموجود فيها عساكر ثلاثون ألف عسكري فلبسها (محمد علي) جميعها وراق الحال.

رجوع الثـــورة:

وكان سابقاً لما صار السفر على محمد علي وإبراهيم باشا من طرف السلطان تحركت جميع البلاد ومن الجملة أهالي حوران وجبل عجلون تزربنوا بزيادة وصار ثقلة على النصارى الذين في حوران وفي عجلون وارتبطت الطرقات وصارت الحوارنة تشلح وتقتل وتسبي وغالبهم عصيوا

في اللجاه وكان مقدامهم رجل يقال له الشيخ محمود الرفاعي شيخ السجادة الرفاعية فهذا رجل صاحب جاه وصاحب نسب فهذا دخل إلى اللجاه وجسم المادة وترادي بحق النصارى وتقاسى عليهم كثير.

انفصال حلب عن الشام:

وبعده لما انتصر إبراهيم باشا أرسل من طرفه رجل حكمدار في حلب اسمه إسماعيل بك ينسب إبراهيم باشا(٢) بوصوله للشام عمل حالاً ديوان وأحضر علي آغا خزينة كاتبي وقرر عليه أنه تكلم في حق الحكم كلام غير لائق وأنه في مادة حوران حاصل منه مساعدة لأنه حينها علي آغا خزينة كاتبي توجه برفقة الشيخ خليل سعد الدين وشمدين آغا لأجل يصلحوا مادة الحوارنة ففي الظاهر يفخت (يذم) الحوارنة وفي الباطن يتكلم مع الشيخ محمود أن لا يطيع وأن هذا حكم مدته قصيرة وأوردي السلطان وصل إلى قرب حلب وعندما يدخل هذا إلى اللجاه لعنده يتكلم معه هذا الكلام سراً وبالظاهر يتكلم أن هذه الدولة سيفها طويل ويكبر عليهم الأوهام وحينما كان يتكلم معه بالسر كان موجود شيخ قرية اسمه الشيخ فاضل المحاميد فحضر إلى عند شريف باشا وقرر له ما حصل من علي آغا خزينة كاتبي فختّمه تقريره وأرسله إلى إبراهيم باشا فضاج إبراهيم باشا وحيث حكمدار حلب حاضر لهذا الطرف وكله بأن يصير ديوان بوصوله للشام ويتحقق مادة علي آغا فإن كان هذا الكلام صحيح يترتب جزاه بالقتل فلما وصل إلى الشام ثاني يوم طلب حضور أرباب المجلس وبحضور شريف باشا وبحري بك وحافظ بك أحضروا علي آغا وانمسك جرنال في مادته فثبت أنه تكلم في حق الحكم (في) غير مادة حوران وحيث أن أرباب المجلس نظروا أن

شريف باشا وبحري بك مغرضين في إزالة وجوده لكونه رجل لسانه طويل ولم يعرف خاطر أحد فحكم نسيب أفندي (القاضي) أنه من حيث المذكور ثبت أنه تكلم بحق الحكم وما راعى الشرف الذي حاصل له من ولي الأمر فترتيب جزاه منوط بأولياء الأمور فلما انفك الديوان سلمه إلى واحد من أمراء اللواء الطوبجية بأن يحبسه عنده في الدوالك فبات تلك الليلة وثاني يوم عند المساء أحضره شريف باشا وقال له يا علي آغا انشا الله انبسطت ليلة مبارح بالنوم عند العساكر فشتم دين النومة وقال إن البق والبراغيث هروني فقال له طيب خاطرك الليلة بنيمك في الكشك الذي بقعد أنا فيه وهو بدار الحريم بالسرايا فبات تلك الليلة هناك وعند المسا من بعد وصول شريف باشا لبيته نبه على القواص باشي أن نهار غد الصبح خذ علي آغا واقطع راسه قدام باب السرايا قبل وصولي للسرايا فقال حسب الأمر وثاني يوم دخل القواص باشي إلى عند علي آغا وقال له قوم كلم أفندينا فلما نزل من الكشك قال له أفندينا برا في أرض السرايا وأخذه لقوضة القهوة وسكر الباب وصار يعريه وأخذ ساعته وكيس الخرجية وشق قميصه وكان بيمازار عظيم وربط له عيونه وكتفه وطالعه من قوضة القهوة إلى باب السرايا وحينما كان آخذه قال له (علي آغا) قول لشريف باشا يدير باله على ابن ابنه فبركه في باب السرايا وقطع راسه فما قاموا الناس من النوم إلا والخبر شايع بأن علي آغا خزينة كاتبي أرسل إبراهيم باشا قطع راسه وبقي مرمى في باب السرايا طوال النهار فارتجت البلد رجة عظيمة وترويت (ذابت خوفاً) الناس في الشام وفي غير بلاد لأنه ما كان أحد صاحب خاطر (كرامة) عند إبراهيم باشا أكثر منه لأنه كلما يحضر إبراهيم

باشا للشام ينزل في بيته وينادي له بابا علي وكل الناس ترشيه وتخاف من لسانه .

ثورة لبنان وأسباب الرحيل

إعادة جمع السلاح من لبنان:

وفي بحر هذه المدة أرسل محمد علي أمراً إلى الأمير بشير أن يجمع سلاح الجبل بعد ما كان في السابق أنعم عليهم بستة عشر ألف بارودة أنها تكون مؤبدة لهم فحالاً الأمير بشير أرسل حوالات (عسكرية) إلى كل ضيع الجبل في لم السلاح فلما نظرت أهالي الجبل ذلك عملوا جمعية (من) الأمرا والمشايخ واعتمدوا أن لا يعطوا سلاح وتحرك الجبل جميعه وضربوا الحوالات وقاموا صوت واحد

قيام الثورة العامة:

فلما درى الحكم (بهذا) أرسل العساكر عليهم والأمير بشير وأولاده مع الحكم وصار الحرب بين أهالي الجبل والحكم وراح عالم كثير من العساكر وقليل من أهالي الجبل واستقامت المادة نحو أربعين يوماً وصار الأمير بشير يرسل يبرطل الناس لأجل يفختوا (يفسدوا) بعضهم وصار حسب مرغوبه وصاروا يقدموا سلاحهم أول بأول إلى أن أخذ سلاح الجبل جميعه وصار يأخذ الخيل وبعده صار يمسك الأمراء والمشايخ نصارى ودروز أصحاب الحركة حتى مسك من الجبل خمسة وتسعين زلمه وخشبهم ونزلهم في المراكب وأرسلهم إلى مصر ومحمد علي أرسلهم إلى بلاد سنار ومات منهم أميرين أحدهم يسمى الأمير يوسف (أرسلان) والثاني يسمى الأمير علي (أبو اللمع) أمير برمانا وبعده راق الجبل إلى الأمير بشير برهة جزئية هذا ما كان من أمر مادة الجبل.

تدخل الإنكليز:

وأما ما كان من مراكب الإنكليز فهو أنه في أول صيام السيدة (أول آب) سنة ١٨٤٠ نفد مراكب انكليز نحو خمسين مركب حربجية وربطوا على بيروت وسبب ذلك أنه من ظرف ستة أشهر من بعد ما توفى السلطان محمود وجلس ولده السلطان عبد المجيد على التخت شرع في ترتيب جديد في حكمه وأرسل أوامر إلى محمد علي باشا أن يمشي على موجبها فما أجرى منها ولا واحدة وأيضاً كان أخذ العمارة في البحر بوقت وفاة والده بسبب خون القبودان باشي فلما جلس السلطان أرسل طلب من محمد علي باشا أن يرسل العمارة لكونها راحت إلى عنده بالخيانة فما قبل فحرر السلطان عن ذلك إلى دول النصارى لأن السلطان محمود لما قارب على الموت وكل (وصى) المسكوبوالإنكليز والنمسا وبروسيا أن يكونوا نظار على ابنه والمملكة. فالملوك كاتبوا محمد علي بأن يرجّع العمارة فما رجعها فلما نظروا أنه ما امتثل (لهم) عول رأيهم أن يقيموه مع (عن) بلاد سوريا وتبقى مصر خلافة له (وراثة لأولاده) نظراً لأتعابه وتبقى عكا وايالتها معه بالأجرة (ضمانا) إلى حين وفاة محمد علي وختموا على هذا الرأي وإن خالف محمد علي يسعفوا الأربعة ملوك إلى السلطان ويخلصوا منه جميع البلاد فأرسلوا أوامر إلى محمد علي عندما رواه ما سلم أن يعطي شي ولهذا السبب تصدرت الإنكليز وتعهدت بتخليص السواحل من محمد علي ونفدت مراكبهم على بيروت.

عمل الإنكليز في السواحل:

فلما ربطوا مراكبهم على بيروت أرسلوا خبر إلى متسلم بيروت بأن السلطان عبد المجيد بده بلاده يستخلصها من محمد علي فإذا سلّم البلد وارحل. فجاوبهم أني أنا رجل عبد مأمور فإن حضر لي أمر من أسيادي بتسليم بيروت بسلمكم إياها وإن ما حضر لي أمر لم يمكني ذلك وأخذ منهم مهلة لحينما يعرض. واعرض إلى محمد علي وإبراهيم باشا فحضر الجواب أنهم لا يسلموا ولا بلد فلما نظرت المراكب هذا الحال صار الحرب على بيروت بضرب المدافع والقنابر ثلاثة أيام حتى خربوا أغلبها وتوجهت المراكب على صيدا وضربوا كم مدفع فهرب المتسلم وباقي أهل البلد سلمت وطلعت عساكر العثملي اليها ونادوا باسم السلطان عبد المجيد وتوجهوا ملكوا صور وضبطوا كل ذخايرها وفرقوها على الفقراء.

القتال بكسروان:

وطلع على صيدا ثلاثة وزر وعلى جون(١) ومعهم نحو عشرين ألف أرناؤوطي وكان إبراهيم باشا حاطط على جون عساكر فكسروهم وتسلموا مطرحهم.

وكان شيخ من مشايخ بيت الخازن اسمه الشيخ بشارة فهذا لما مسك الأمير بشير الاماري والمشايخ وأرسلهم إلى مصر هرب إلى قبرص فبمرور عساكر السلطان على قبرص نزل إلى عندهم هذا الشيخ وطلع مع عسكر السلطان إلى جونة ولبسوه الوز اميرالاي وأرسل خبر إلى جبل كسروان فنزلوا أهل جبل كسروان إلى عنده ولبسوا سلاح ونزل إلى عندهم الأمير عبد الله (حسن شهاب) حاكم كسروان ابن أخو الأمير بشير وصاروا

يرسلوا مراسيل إلى أهالي الجبل لأجل ينحرفوا معهم لأن الأمير بشير كان منحرف مع إبراهيم باشا.

فلما نظر إبراهيم باشا هذا الحال أخذ عساكره وطلع إلى الجبل واستقام عند عين صنين وطلع بحري بك إلى بتدين واستقام عند الأمير بشير وصاروا يهدو الناس ويعطوا غروش. ووزر العثملي يرسلوا يستميلوا البلاد إليهم ويشجعوهم وأنهم ينزلوا إلى عندهم يأخذوا سلاح حتى يحاربوا إبراهيم باشا ويخلصوا منه.

بيت شهاب:

حتى من الجملة نزلوا مقدار ثمانين نفر من أهالي بيت شهاب (شباب) تسلحوا وطلعوا وصاروا يقوصوا وكان موجود الأمير مسعود الشهابي في محل يسمى بحرصاف بجانب قرية بكفيا لما نظر أن أهالي بيت شهاب نزلوا تسلحوا أرسل خبر إلى إبراهيم باشا فحضر إبراهيم باشا ونهب الضيعة وشغل الحريق بها فأهالي الضيعة تركوا أمتعتهم وهربوا فبقيت العساكر ثلاثة أيام تنهب وتحرق حتى من الجملة غالب أهالي بيروت واضعين أرزاقهم هناك انتهبوا حتى من الجملة الديورةوالكنائس نهبوها وحرقوها. دير واحد فيه خمس راهبات ماتوا بالحريق ودير آخر فيه كم راهب راحوا بالحريق لأنه حصل شي يرتى له والله الحمد لم كان موجود في الضيعة حريم.

انتقال الحرب:

وبعده تجمعوا أهالي الجبل واجوا على إبراهيم باشا وصار الحرب بينه وبينهم فراح (قتل) شرذمة من عساكره وكسروه من عين صنين إلى عين حزير فوق زحلة وصار أهالي الجبل صوت واحد.

حيلة السياسة:

وتوجه إبراهيم باشا لعند الأمير بشير لأجل يعملوا تدبير وبوصوله أرسل أحضر مشايخ دروز الشوف وقال لهم هل تقدروا تتعهدوا في تدمير نصارة الجبل فقالوا له نتعهد وإنما بشرط (أن) نظام ما نعطي وفردة ما نحط وسلاح دايماً يبقى معنا ولا نحط غير مال الميري المرتب من زمان العثملي فأعطاهم أمر بذلك وأعطاهم سلاح وأعطاهم جامكيات (معاشات) وقام من بتدين ومعه ثلاثين نفر وخيل فما وصل معه للاوردي غير سبعة أنفار وكان لما بلغ نصارة الجبل هذه الرابطة أرسلوا كامل وجوه النصارى خبر إلى دروز الشوف بأن كل درزي قام مع إبراهيم باشا نحرق بيته ونقطع رزقه ونسبي حريمه فتخوفوا من ذلك وحضروا إلى عند الأمير بشير وقالوا له نحن ما يمكنا نحط أهالي البلاد في ضهرنا لأنه بلغهم الرابطة التي حصلت. والدروز كاتبوا النصارى وتحالفوا أن قولهم واحد وضربتهم واحدة. فلما نظر الأمير بشير البلاد جميعها اتفقت بصوت واحد وكان عنده بحري بك قال له قوم روح إلى عند باشتك (وقل له) لم عاد فائدة البلاد جميعها صارت صوت واحد فأرسل معه كم خيال نصارى وصلوه لقريب الأوردي ورجعوا.

فلما نظره إبراهيم باشا حاضر سأله عن سبب حضوره فقال له إن الأمير بشير خان ونزل إلى صيدا لعند وزر السلطان. فلما سمع ذلك صار

مجنون وجهز الابين وقام لأجل يتوجه إلى بتدين يحرقها. فلما نظر بحري بك قال إلى إبراهيم باشا أفندم إلى أين راح هذه بلاد كبيرة. داخل إليها ملايين. فهذا ما هو رأي وشار عليه بالرجوع فامتثل ورجع وقام من هناك إلى عين حزير فحضر أبو سمرا من ناح والأمير عبد الله وابن الخازن من ناح وصار الحرب بينهم فكسروه من عين حزير إلى أن أوصلوه إلى المعلقة عند زحلة

تسليم بيروت:

ومن خصوص سليمان باشا لما بلغه أن إبراهيم باشا انكسر والأمير بشير سلم قال إلى الأميرالاي الذي في بيروت افتح عينك حتى أتوجه انظر إبراهيم باشا في أي محل. فلما توجه سليمان باشا نزل أميرالاي الطوبجية وسلم بيروت ونزل إلى عند المراكب في المدافع والعسكر وطلب منهم الأمان فأخذوه إلى عندهم وباقي العسكر لما نظر ذلك هرب بقي حاضر إلى الشام وطلعت عساكر السلطان إلى بيروت وملكوها ولبسوا متسلم السيد فتيحه ونادوا باسم السلطان وراقت بيروت ورجعت أهلها إليها.

المصادر والمراجع

١ ـ تاريخ حسن آغا العبد ـ طبع وزارة الثقافة ١٩٧٩ ـ تحقيق يوسف جميل.

٢ ـ ثمار القاصد في ذكر الساهر ـ يوسف بن عبد الهادي ـ طبع المعهد العلمي الفرنسي ١٩٧٥ ـ تحقيق محمد أسعد طلس.

٣ ـ حوادث دمشق اليومية ـ أحمد البديري الحلاق ـ القاهرة ١٩٥٩ ـ تحقيق أحمد عزت عبد الكريم.

٤ ـ أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ـ محمد بن طولون الصالحي الدمشقي ـ وزارة الثقافة ١٩٦٤ ـ تحقيق محمد أحمد دهمان.

٥ ـ قاموس المنجد ـ قسم الاعلام،

٦ ـ أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ـ خليل مردم بك ـ مؤسسة الرسالة ١٩٧٧.

٧ ـ منتخبات التواريخ لدمشق ـ محمد أديب آل تقي الدين الحصيني ـ دار الآفاق ١٩٧٩.

٨ ـ تاريخ الدولة العثمانية ـ الدكتور علي حسون.

٩ ـ الكنز المرصود في قواعد التلموذ ـ ترجمة يوسف حنا نصر الله.

١٠ ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ محمد فريد بك المحامي.

١١ ـ الإدارة العثمانية في ولاية سورية ـ عبد العزيز محمد عوض.

١٢ ـ بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ـ د. محمد عبد الكريم رافق.

١٣ ـ خطط الشام ـ محمد كرد علي.

١٤ ـ يقظة العرب ـ جورج أنطونيوس.

١٥ ـ تاريخ حوادث الشام ولبنان ـ نشره لويس معلوم اليسوعي.

١٦ ـ الوحدة العربية في تاريخ الشرق المعاصر ـ د. أحمد طربين.

١٧ ـ تاريخ الأقطار العربية الحديث ـ لوتسكي.
١٨ ـ أزمة الحكم في لبنان ـ د. أحمد طربين.

فهرس